

جامعة مولود معمري - تيزي وزو-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم النفس



رئيس المجلس العلمي للكلية
المجلس العلمي
للكلية د. عمر بلخير



باطوانفة

محاضرات في وحدة علم نفس النمو والفروق الفردية

محاضرات مقدمة
لطلبة السنة الثانية علم النفس جذع مشترك

إعداد الأستاذ: بلخير رشيد

فهرس المحاضرات

الصفحة	عنوان المحاضرة
	المحاضرة الأولى: مدخل إلى علم النفس النمو.....
	المحاضرة الثانية: القوانين والمبادئ العامة للنمو.....
	المحاضرة الثالثة: العوامل المؤثرة في عملية النمو.....
	المحاضرة الرابعة: الطرق العلمية لدراسة النمو النفسي.....
	المحاضرة الخامسة: أسس تقسيم النمو إلى مراحل.....
	المحاضرة السادسة: نظرية النمو النفسي الجنسي لـ "سيغموند فرويد".....
	المحاضرة السابعة: نظرية النمو النفسي الاجتماعي لـ "اريك اريكسون".....
	المحاضرة الثامنة : نظرية النمو المعرفي لـ "جون بياجيه".....
	قائمة المراجع

المحاضرة الأولى

مدخل إلى علم النفس النمو

1- مفهوم علم النفس النمو:

لقد أطلقت على ميدان علم النفس النمو تسميات عديدة ومختلفة مثل: سيكولوجية النمو، علم النفس التطوري وعلم النفس الارتقائي، إلى أنها تتناول كلها نفس الموضوع وهو وتيرة نمو الفرد.

تعرف **حنان عبد الحميد العناني (2001)** النمو بأنه ما يحدث للكائن الحي من تغيرات كمية وزيادات في الحجم والبنية، تبدأ مع بداية تكون البويضة الملقحة وتستمر حتى اكتمال النضج، ومن المعروف أن هذه التغيرات الكمية يصاحبها ارتقاء في الوظائف النفسية التي تتمثل في تزايد القدرة على التعلم والتذكر والاستنتاج وحل المشكلات والإبداع والتوافق الاجتماعي والاستقرار الانفعالي والالتزام بأخلاق الجماعة، أي أن النمو في الحجم يرافقها ارتقاء وتحسين في الوظائف التعليمية (**حنان عبد الحميد العناني وآخرون، 2001**)

وعرفه **فؤاد باهي السيد (1997)** على انه عبارة عن مجموعة من التغيرات التي تطرأ تلقائياً مصاحبة لتقدم العمر الزمني للفرد. وهو سلسلة متتابعة متماسكة من تغيرات تهدف إلى غاية واحدة وهي اكتمال النضج ومدى استمراره وبدء انحداره، فالنمو بهذا المعنى لا يحدث فجأة ولا يحدث بطريقة عشوائية، بل يتطور بانتظام خطوة إثر خطوة.

للنمو مظهران رئيسيان يحددان الاتجاه في دراسة علم نفس النمو:

- **دراسة النمو العضوي (التكويني):** ويشمل دراسة النمو الجسمي من حيث صفات

الجسم الخاصة كالوزن والطول والشكل، والنمو الفسيولوجي من حيث نمو أجهزة

الجسم المختلفة، والنمو الحسي..... وهكذا.

- دراسة النمو الوظيفي (السلوكي): ويشمل نمو الوظائف النفسية والجسمية والعقلية والنمو الانفعالي والنمو الاجتماعي.... وهكذا في مراحل النمو المختلفة.

(حامد عبد السلام زهران، 1986، ص 12)

إن النمو النفسي (باعتباره علماً ودراسة) يسعى إلى تحقيق هدفين رئيسيين:
- وصف سلوك الطفل في كل مرحلة من مراحل حياته.

- معرفة أسباب التغيرات التي تطرأ على السلوك في مختلف مراحل النمو التي يجتازها الإنسان. (أحمد أوزي، 1998، ص 06)

• الفرق بين مصطلحي النمو والتطور:

النمو هو الزيادة في حجم الجسم وأجزائه أو تركيبه، بينما التطور هو الوصول إلى حالة من القدرة الوظيفية سواء كانت مرتبطة بالنواحي البيولوجية أو السلوكية.
مثال: الزيادة في حجم الذراعين أو الأصابع هو "نمو"، أما القدرة على استخدام الذراعين والأصابع في أداء عمل كالكتابة أو الرسم أو استخدام الكمبيوتر فهو "تطور".
(إيمان يونس إبراهيم، 2016، ص 03)

2- المسار التاريخي لعلم النفس النمو وتطبيقاته:

عند تناول الجانب التاريخي لعلم النفس النمو أو غيره من العلوم الأخرى، يتطلب بالضرورة الوقوف أو الإشارة إلى إسهامات العامل الديني والتأملات الفلسفية في نشأته وتطوره.

فقد أشار سقراط Socrate إلى كيفية تلقين الأطفال للمعارف الرياضية، وألح على تقديمها على شكل العاب، لما للعب من أهمية نفسية وتربوية في مرحلة الطفولة، كما أشار أفلاطون Platon إلى وضع الطرق الصحيحة في تربية الشباب على المواطنة وخدمة الوطن. وقد ركز أرسطو Aristote في أبحاثه على أهمية وخصائص ومتطلبات فترة المراهقة. إضافة إلى

دراسات **جون جاك روسو Jean jack Rousseau** على الطفل والتركيز على تحديد الأساليب التربوية المناسبة في فترة الطفولة التي تنبني على ضرورة منح الطفل الحرية المطلقة في التعبير عن نزعاته التربوية لان ذلك يؤثر إيجابا على تنمية قدراته ومواهبه.

أما في القرن التاسع عشر فقد كانت لإسهامات **جون لوك Jhon Lock** دورا بارزا في علم النفس النمو حيث تناول عادات الطفل ودوافعه، واهتم بكيفية تكوينها وبالعوامل المؤثرة عليها. مما مهد الطريق للعديد من الباحثين والمفكرين بالاستثمار في الموضوع ومن عمالقة هذا الموضوع اللذين تظهر آثارهم بوضوح إلى يومنا هذا، نجد **بستالوزي Henri Pestalozzi** الذي تأثر إلى حد بعيد بدراسات وأفكار روسو، إلى جانب **فروبل وتشارلز داروين Darwin** الذي يعتبر المرجع في نظرية التطور والنمو، والذي وضع سنة 1877 كتابا يضم تحليلا دقيقا وشاملا لحياة طفله الأول الذي ولد عام 1839.

أما في العصر الحالي فهناك دراسات وإسهامات مختلفة ومتعددة فقد ذكر في مقدمة كتاب من تأليف جماعي (Mallet et al,2003) في الصفحة رقم 05، أن علم النفس الطفل قد انبثق من علم النفس البيولوجي، ثم توسع مجال الدراسة فيه وامتد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة.

وهذه القاعدة بنيت على مجموعة من الأسس حسب **Tourette et Guidettii (2007)** وهي:

- أن علم النفس الطفل يدور موضوعه حول الطفل وكل ما يشمل وصفه، تحليله ووظائفه وخاصة تطوره من الطفولة إلى المراهقة.
- أن علم النفس البيولوجي يتناول الجانب التطوري للسلوك.
- وبالتالي فان علم النفس النمو هي التسمية التي حاولت دمج كلا الميدانيين السابقين معا من حيث موضوعهما، ذلك لأنه يهتم بدراسة مختلف التغيرات التي تحدث في مرحلة الطفولة، اضافة إلى الاهتمام بظاهرة تطور السيرورات والسلوكيات التي تصاحبه.

وظل علم النفس النمو لمدة طويلة من الزمن يهتم فقط بدراسة النمو من الميلاد إلى نهاية فترة المراهقة حتى سنة 1970، حيث أشار **Goulet et Baltes** في كتابهما:

"Life-span developmental psychology"، إلى أن علم النفس النمو يهتم بدراسة ووصف وتفسير التغيرات المختلفة وتأثيرها على السلوك وذلك من فترة الإخصاب إلى الوفاة (Schleyer-Lindenmann, 2006).

إذن يهتم ميدان علم النفس النمو بالدراسة العلمية النفسية للتغيرات والتحولات المختلفة التي تطرأ على المسار النمائي للفرد، مركزا في ذلك على العوامل والأطر العامة المختلفة التي تتعلق بحياة الفرد.

إن تعامل المختصين النفسانيين واهتمامهم بالطفل يعود إلى أربعين سنة بعدما أن تغيرت النظرة إلى الطفل من مجرد أنبوب هضم، أعمى، أصم وأبكم إلى شخص ذو قدرات مسبقه، وقادر من لحظة الميلاد على الاستجابة مع المحيط الخارجي.

إن هذه النظرة الجديدة للطفل ظهرت مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، اضافة إلى إحصائيات المنظمة العالمية للصحة (OMS) حول عدد الأطفال الذين يعانون من الحرمان العاطفي واضطراب النمو الجسمي، إلى جانب أعمال **Spitz et Bowlby** التي تشير إلى أن الطفل هو المحرك لنموه، وله مكانة هامة في المجتمع، ثم تلتها دراسات أخرى حول الطفل لاسيما في الوضعيات التربوية، والتي ركز عليها **Langerin-Wallon** الذي ناد بالإصلاح التربوي الديمقراطي، الذي حقق سنة 1947 ظهور مهنة المختص النفساني المدرسي الذي يبنني على ثلاثة أهداف هي:

1- مساعدة التلميذ على تحقيق التكيف مع المحيط المدرسي.

2- العمل على تشخيص بعض الإعاقات لدى الطفل.

3-دراسة النتائج النفسية لبعض الطرق والمناهج التربوية.

أما في مجال الممارسة والتطبيق، فإن علم النفس النمو يمكن ان يتجسد في تدخلات المختصين النفسانيين في قضايا تمس الطفل والمراهق، وفي هذا المجال فان تطبيقات علم

النفس النمو تشمل ميادين ومجالات كثيرة ومتنوعة، منها قطاع التربية، الصحة أو حماية الطفولة:

- حماية الأمومة والطفولة (PMI)
 - الهياكل التي تعمل على استقبال الأطفال (الطفولة الأولى) مثل رياض الأطفال مثلا.....الخ.
 - المساعدة الاجتماعية للطفولة (ASE)
 - المؤسسات الطبية المهنية (IMPro)
 - المؤسسات العلاجية، التربوية والبيداغوجية (ITEP)
 - خدمات العلاج والتربية الخاصة في المنازل (SESSAD)
 - المركز الطبي النفسي البيداغوجي (CMP)
- وكل هذه القطاعات أما عامة أو خاصة أو تحت اتفاقيات.

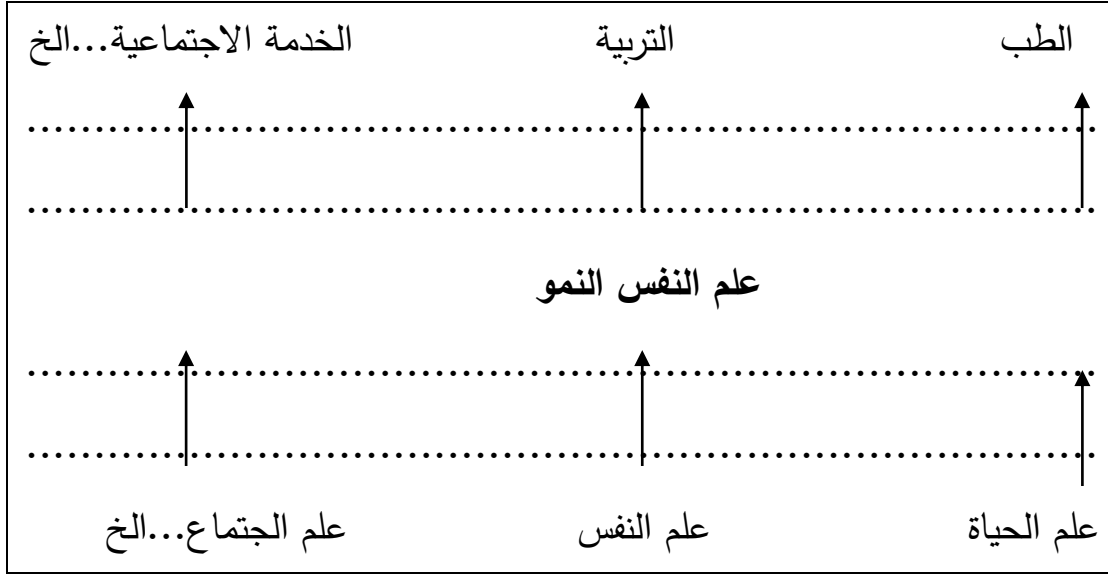
(Ricaud-Droisy et al, 2007-2008)

نقلا عن (طاوس وازي، 2014)

3- علاقة علم النفس النمو بالعلوم الأخرى:

ليست ظاهرة النمو حكرًا على علم النفس، بل نجد عددا من العلوم تتكامل وتتخذ منها مجالًا لها. ويستفيد علم النفس النمو من علوم أخرى مثل علم الحياة وعلم الأجنة وفسولوجيا النمو والتشريح والكيمياء الحيوية وعلم الاجتماع وعلم الإنسان وعلم الأجناس...، وفي الوقت نفسه يفيد علم النفس النمو علوم أخرى مثل التربية والطب والطب النفسي والخدمة الاجتماعية...، والجدول الموالي يوضح العلاقة بين علم نفس النمو والعلوم التي يأخذ منها والعلوم التي يعطيها.

شكل يبين علاقة علم النفس النمو بالعلوم الأخرى



(حامد عبد السلام زهران، 1986، ص 10)

4- أهمية دراسة علم نفس النمو:

لا شك أن دراسة سيكولوجية الطفولة مهمة في حد ذاتها ومفيدة بالنسبة لفهم مراحل الطفولة، ودراسة سيكولوجية المراهقة أيضًا مهمة في حد ذاتها ومفيدة لفهم المرحلة التي تليها وهكذا.

ويعتبر علم نفس النمو المجال الذي يشمل مراحل تطور الكائن الحي طوال حياته بهدف توفير الحقائق والمعلومات المتعلقة بمظاهر النمو المتعاقبة، والتعرف على طبيعة العمليات النفسية المصاحبة للنمو وتوقيت حدوثها، وتحديد العوامل المؤثرة في تلك العمليات سلباً أو إيجاباً كما أن هناك عدة أسباب وراء الاهتمام بنمو الكائن الحي بصفة عامة، ويمكن تلخيص أهمية دراسة هذا العلم في عدة نقاط أهمها:

أ- من الناحية النظرية:

تزيد من معرفتنا للطبيعة الإنسانية ولعلاقة الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها وذلك من خلال: التعرف على تأثير كل من العوامل الوراثية والبيئية على النمو، مما يؤدي إلى توفير العناصر المساعدة لتلك العوامل على تأدية عملها في أحسن الظروف وتحقيق أفضل النتائج الإيجابية التي يمكن توقعها.

ب- من الناحية التطبيقية:

تزيد من القدرة على توجيه الأطفال والمراهقين والتحكم في العوامل والمؤثرات المختلفة التي تؤثر في النمو. وذلك من خلال مساعدة الأفراد على فهم أنفسهم وما ينتابهم من تغير يرتبط بمراحل النمو المختلفة، وتقبل المظاهر المصاحبة له، والتوافق مع عالم الواقع. ويمكن قياس مظاهر النمو المختلفة بمقاييس علمية تساعد من الناحية النفسية والتربوية في التكفل بالأفراد، إذا ما اتضح شذوذ النمو في أي ناحية عن المعيار العادي.

(أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2010، ص ص 27-30)

ج- بالنسبة لعلماء النفس:

تساعد الأخصائيين النفسيين في جهودهم لمساعدة الأطفال والمراهقين والراشدين والمسنين خاصة في مجال علم النفس العلاجي والتوجيه والارشاد النفسي والتربوي. كما تعين دراسة قوانين ومبادئ النمو وتحدد معاييرها في اكتشاف أي انحراف أو شذوذ في سلوك الفرد، وتتيح معرفة أسباب هذا الانحراف وتحديد طرق علاجه.

(حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2001، ص ص 59-63)

د- بالنسبة للمدرسين:

تساعد في معرفة خصائص الأطفال والمراهقين، وفي معرفة العوامل التي تؤثر في نموهم وأساليب سلوكهم، وفي طرق توافقيهم في الحياة، وفي بناء المناهج وطرق التدريس وإعداد الوسائل المعينة في العملية التربوية.

ويؤدي فهم النمو العقلي ونمو الذكاء، والقدرات الخاصة والاستعدادات والتفكير والتذكر والتخيل على زيادة القدرة في التحصيل، حيث يحاول الوصول إلى أفضل الطرق التربوية والتعليمية التي تناسب مرحلة النمو ومستوى النضج الملائم. وتفيد في إدراك المدرس للفروق الفردية بين تلاميذه، وأنهم يختلفون في قدراتهم وطاقاتهم العقلية والجسمية وميولهم، بهذا يوجه المدرس انتباهه للأفراد ويراعي قدراتهم ولا يكتفي بالتربية الجماعية.

هـ - بالنسبة للأفراد:

فبفضل فهم المربين والقائمين على التربية والرعاية النفسية والاجتماعية والطبية لعلم نفس النمو، أصبح التوجيه التربوي يقوم على أساس علمي مما يحقق الخير للأفراد من الطفولة إلى الشيخوخة.

ويساعد ذلك في أن يفهم كل فرد (بقدر مستوى نموه) طبيعة مرحلة النمو التي يعيشها ويعتبر أنّ عليه أن يحيها بأوسع وأصح وأكمل شكل ممكن باعتبارها غاية في حد ذاتها قبل أن تكون وسيلة لغيرها، أي أن الفرد لا ينبغي أن يضحي بطفولته من أجل رشده، بل يجب أن يحيا الطفولة على أحسن وجه ممكن حتى يبلغ أكمل رشد ممكن.

و - بالنسبة للقائمين على عملية التربية:

تساعد الآباء في معرفة خصائص الأطفال والمراهقين مما يعينهم وينير لهم الطريق في عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي لأولادهم. تُعين الآباء على تفهم مراحل النمو والانتقال من مرحلة إلى أخرى من مراحل النمو، فلا يعتبرون المراهقين أطفالاً. ويعرفون أن لكل مرحلة من مراحل النمو خصائصها المميزة حيث تنمو شخصية الفرد بمظاهرها المختلفة.

(أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2010، ص ص 27-30)

ي- بالنسبة للعاملين بدور الحضانة ورياض الأطفال:

فإن فهمهم لخصائص نمو الأطفال في المرحلة العمرية للأطفال الملتحقين بها، تساعدهم في طرق بناء هذه الدور، وتخطيط ملاعبها وأنشطتها، بما يتناسب مع احتياجات الطفل في كل سن.

ز- بالنسبة للأخصائيين الاجتماعيين:

دراسة مبادئ النمو تعين على فهم المشكلات الاجتماعية وثيقة الصلة بتكوين ونمو الشخصية والعوامل المحددة لها مثل: مشكلات الضعف العقلي، والتأخر الدراسي، وجناح الأحداث والانحرافات.. إلخ.

كما تساعدهم على عمليات ضبط سلوك الفرد وتقييمه في الحاضر بهدف تحقيق أفضل مستوى ممكن من التوافق النفسي والتربوي والاجتماعي والمهني.

(حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2001، 59-63)

ح- بالنسبة للمجتمع:

يفيد في فهم الفرد ونموه النفسي وتطور مظاهر هذا النمو في المراحل المختلفة في تحديد أحسن الشروط الوراثية والبيئية الممكنة التي تؤدي إلى أحسن نمو ممكن، وحتى لا يخطئ في تفسيره تحقيقاً لخير الفرد وتقدم المجتمع. وتعين على فهم المشكلات الاجتماعية وثيقة الصلة بتكوين ونمو شخصية الفرد والعوامل المحددة لها، مثل مشكلات الضعف العقلي والتأخر الدراسي والجنوح والانحرافات الجنسية، والعمل على الوقاية منها وعلاج ما يظهر منها.

وتساعد على ضبط سلوك الفرد وتقييمه في الحاضر بهدف تحقيق أفضل مستوى ممكن من التوافق النفسي والتربوي والاجتماعي والمهني بما يحقق صحته النفسية في الحاضر والمستقبل كإنسان صالح.

وتؤدي على التنبؤ الدقيق بقدر الإمكان كهدف أساسي يساعد في عملية التوجيه في المستقبل بالنسبة لكل فرد حتى يحقق المجتمع أقصى فائدة من أبنائه.

وبالتالي يمكن الإشارة إلى أننا نهتم بالعادة بدراسة علم نفس النمو من أجل تحقيق الأهداف والأغراض التالية:

- الرغبة في تحسين عمليات التعلم والتعليم.
 - التحقق من صحة النظريات القائمة أو تطويرها أو تغييرها.
 - الكشف عن خصائص الأطفال في مختلف مراحل العمر.
 - تفسير سلوكيات الناس في مختلف المراحل والظروف.
 - التحقق من بعض المفاهيم السائدة مثل مفهوم معامل الذكاء.
 - التحقق من بعض المعتقدات التربوية المتعلقة بالتعلم مثل: من يحفظ بسرعة ينسى بسرعة، الذكاء وراثي.
 - محاولة فهم دوافع المشكلات المجتمعية ووضع حلول لها.
- (أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2010، ص ص 27-30)

المحاضرة الثانية

القوانين والمبادئ العامة للنمو (خصائص النمو)

تحكم عملية النمو خصائص معينة ومبادئ وقوانين عامة أساسية، ومن أهم هذه الخصائص العامة للنمو:

1. النمو عملية تغير كلي مستمر ومنتظم:

- النمو عملية مستمرة متدرجة ومنتظمة ومتداخلة، ويشمل هذا القانون ناحيتين هامتين.
- عملية النمو تستمر بشكل طبيعي ولا تتوقف إلا إذا أعيق النمو بسبب عائق خارجي ويمكن في هذه الحالة أن يتشوه شكل الجسم.
- إن عملية النمو مع استمرارها في المراحل المختلفة نجدنا منتظمة تسير وفق قوانين طبيعية لا تسبق إحداها الأخرى، وما يحدث في مرحلة معينة يؤثر في المراحل التي تليها.

النمو عملية كلية لا تمس جانب واحد من الشخصية، ولكنها تمس الجوانب الاجتماعية والجسمية والانفعالية في تكامل تام. مثال: (الطفل عندما يمشي تزيد حصيلته اللغوية، ويصبح أكثر اجتماعية، وتخف حدة انفعالاته). (ايمان يونس ابراهيم، 2016، ص04)

ولكون النمو عملية مستمرة فإن ما يحدث في مرحلة معينة يمتد إلى المرحلة أو المراحل التالية ويؤثر فيها، فمثلاً: سوء التغذية في السنوات الأولى من حياة الطفل سوف يؤدي إلى إحداث أضرار جسمية ونفسية يصعب تعويضها كلية فيما بعد، كذلك يؤدي التوتّر الانفعالي الناشئ عن الظروف غير المواتية في المنزل إلى إحداث بصمات في تطور نمو شخصية الطفل، كما أن تكوّن اتجاهات غير صحية نحو نفسه، وعلاقته بالآخرين، خلال السنة الأولى من حياته تظلّ مترسّبة في كيانه النفسي في مرحلة النضج.

وهكذا ينطوي إقرار مبدأ استمرارية النمو على حكمة تربوية؛ إذ يجعل في مقدورنا أن نسعى إلى تحديد مسار النمو والتنبؤ به والتخطيط له. (حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2010، ص 42)

2. النمو يتضمن التغير الكمي والكيفي:

التغير الكمي هو تغير عضوي، فيزداد حجم جسم الطفل ووزنه وطوله عام بعد عام، وينمو القلب والرئتان والمعدة نموا يقابل احتياجات الجسم المتزايدة. ويقابل هذا النمو الجسمي نمو عقلي في القدرات والذكاء.

أما التغير الكيفي هو تغير وظيفي فيبدو في وظائف أعضاء الجسم، فنجد أن التحكم في أطرافه وعضلاته وضبطها يتم تدريجياً، ففي السادسة من العمر مثلاً يستطيع الطفل الاعتماد على العضلات الكبيرة مثل الراشد ولكنه لا يستطيع السيطرة على العضلات الدقيقة كأصابع اليدين سيطرة كاملة في هذه السن فتبدو الكتابة كبيرة الحجم.

كل نمو في جوهره تغير، ولكن ليس كل تغير يعد نموًا حقيقيًا، وعمومًا يمكن القول أن علم نفس النمو يهتم بالتغيرات السلوكية التي ترتبط ارتباطًا منتظمًا بالعمر الزمني.

فإذا كانت هذه التغيرات تطرأ على النواحي البيولوجية والفسولوجية والنيورولوجية، وتحدث في بنية الجسم الإنساني ووظائف أعضائه نتيجة للعوامل الوراثية "الفطرة" في أغلب الأحيان، فإن هذه التغيرات تسمى نضجًا، أما إذا كانت هذه التغيرات ترجع في جوهرها إلى آثار الظروف البيئية "الخبرة" تسمى تعلمًا. (آمال صادق، فؤاد أبو حطب، 2008، ص 11)

3. اختفاء صفات قديمة وظهور صفات جديدة:

من أهم الأمور التي تختفي بعد أن كانت موجودة بعض الصفات والخصائص الجسمية كالغدة التيموسية (thymus) ومركزها في الصدر، كذلك الغدة الصنوبرية (pinéale) في قاع المخ وتسمى غدتا الطفولة.

وكذلك يتخلص الطفل في مراحل معينة من شعره الذي وُلد به وأسنانه اللبنية ويستبدلها بأخرى.

كما يتخلص الطفل تدريجياً من كثير من أنواع التنقل الطفلي كالزحف والحبو، بل ويمتد إلى بعض الخصائص العقلية مثل عمليات النطق والانفعالات والسلوك عامة. فيتخلص الطفل من بعض أشكال الكلام الطفلي والسلوك الاندفاعي الذي يتم دون تفكير سابق أو تدبير. - أما الصفات الجديدة التي يكتسبها الطفل أثناء عملية النمو سواء أكانت صفات جسمية أو عقلية تكون إما عن طريق التعلم أو تأتي نتيجة النضج الطبيعي والتي تكون كامنة أو غير مكتملة النضج عند الميلاد، وذلك مثل الخصائص الجنسية الأصلية والثانوية. ويكتسب الأفراد الخصائص العقلية مثل المعايير الأخلاقية والمعتقدات الدينية ومختلف أشكال اللغة. (عبد المنعم عبد العزيز المليجي، 2019، ص ص 34، 35)

4- تغير سرعة النمو:

عمليات النمو لا تسير على وتيرة واحدة أو سرعة ثابتة، فهناك فترات من النمو السريع وفي مراحل أخرى يكون النمو بطيئاً. فالمرحلة الجنينية مثلاً تكون ذات سرعة هائلة في النمو، ليبطئ النمو نسبياً في المراحل التي تلي الميلاد أي مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة، ولكن يظل سريعاً مقارنة بمرحلتَي الطفولة الوسطى والمتأخرة حيث يبطئ النمو ويسير بمعدل معتدل، أما في بداية مرحلة المراهقة تحدث تغيرات وسرعة في النمو الجسمي والانفعالي والعقلي والاجتماعي، هذه السرعة تظل لمدة عامين أو ثلاثة. ثم يبطئ حتى الوصول إلى مرحلة النضج الكاملة ليصل بعدها الفرد إلى مرحلة الشيخوخة حيث يبدأ الانحدار في الاتجاه المضاد نحو الضعف والاضمحلال.

(أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2011، ص 120)

5- لكل مظهر من مظاهر النمو سرعة خاصة:

يختلف معدل النمو من مظهر لآخر، فلا تنمو أجزاء الجسم وأعضائه بسرعة واحدة. فنجد مثلا أن الجمجمة تنمو بسرعة كبيرة أثناء المرحلة الجنينية في حين يقل نموها نسبيا بعد الميلاد، ويصل نمو المخ تقريبا إلى حجمه النهائي في حوالي سن السابعة أو الثامنة من العمر.

في حين أعضاء التناسل تكون نموها بطيء في مراحل الطفولة المبكرة والوسطى والمتأخرة، ثم يكون سريعا في مرحلة المراهقة حتى النضج.

6- اتجاه النمو:

النمو يتخذ اتجاها طوليا من الرأس إلى القدمين: يتجه النمو في تطوره العضوي والوظيفي اتجاها طوليا من الرأس إلى القدمين وبذلك فإن تكوين وظائف الأجزاء العليا من الجسم يسبق الأجزاء الوسطى والسفلى منه، وهكذا فإن الأجهزة الرئيسية الهامة في حياة الفرد تنمو وتتقدم قبل الأجهزة الأقل أهمية .

النمو يتجه اتجاها مستعرضا من محور الرأس للجسم إلى الأطراف الخارجية: يتجه النمو في تطوره العضوي والوظيفي اتجاها مستعرضا من الجذع إلى الأطراف، وبذلك يسبق تكوين وظائف الأجزاء الوسطى من الجسم الأجزاء البعيدة عند الأطراف .

(حامد عبد السلام زهران، 1986، ص 49-56)

يسير النمو من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء، ومن الغموض إلى الوضوح، ومن التفكك إلى التكامل والتناسق.

فتكون استجابات الطفل في المراحل المبكرة استجابات عامة عشوائية غير متميزة، فيتحرك بكل جسمه للوصول إلى ما يقدمه أو يعطيه احد ما، فلا يركز حركة يده مثلا، وبعد أن تتم عملية النضج يمكنه أن يستخدم كلتا يديه ثم يستخدم يدا واحدة ثم أصابعه للقبض على الأشياء... الخ. وكذلك لحالة المشي.

وفي النمو البصري نرى أن الطفل خلال الشهر الأول من عمره يبصر الأشياء ككل غير متميز، فيبصر الأشياء ذات الأحجام الكبيرة ولا يستطيع تحديد الأشياء الصغيرة، وبعد عمليات النمو المتتالية يصبح يستطيع أن يحدد المرئيات الجزئية بتفاصيلها بحيث تبدو له الأشياء متميزة واضحة.

وفي النمو اللغوي يبدأ الطفل كلماته بأصوات مبهمة غير واضحة مفككة غير متميزة ثم تتحدد بعدها بكلمات يمكن أن تفهم.

وفي التربية والتعليم الحديث يكون وفقاً لاتجاه النمو وتدرجه من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء، ومن المجرى إلى المفصل، ومن الامتياز إلى المتميز، فهي تركز على أن يكون تعليم الطفل من المراحل الأولى، يبدأ بالعبارة قبل الجملة، والجملة قبل الكلمة والكلمة قبل الحروف الهجائية.

7- يحدث النمو في مراحل متعاقبة:

إن لكل مرحلة من مراحل النمو بداية ونهاية، والمراحل متداخلة فيما بينها، والإنسان لا بد أن يمر بكل هذه المراحل، أي لا يستطيع أن يقفز إحدى هذه المراحل إلى التي تليها. ولقد قسم العلماء النمو إلى مراحل أساسية كالآتي:

- مرحلة ما قبل الميلاد

- مرحلة الطفولة

- مرحلة المراهقة

- مرحلة الرشد

- مرحلة الشيخوخة

8- لكل مرحلة من مراحل النمو المختلفة خصائصها ومميزاتها الفريدة:

لاحظنا بأن النمو مستمر لا توقف فيه ولا فواصل ولا ثغرات، إلا أنه يتميز بخصائص معينة خلال فترات معينة من العمر.

إن لكل مرحلة خصائص مميزة لا تشترك فيها من المراحل، فاللغة تبدأ في مرحلة المهد، ودخول الروضة في الطفولة المبكرة، والمدرسة مع بداية الطفولة المتأخرة، وعلامات البلوغ مع المراهقة .. وهكذا مع بقية المراحل.

إن تقسيم حياة الفرد إلى مراحل يقتصر على الناحية النظرية ولأغراض تسهيل دراسة مظاهر النمو وخصائصه، وتبقى الحياة وحدة متكاملة يأتى سابقها بلاحقها ويتأثر بعضه ببعض الآخر. (فوزيه بنت عبد الرحمن، محمد عبد الله أبو جعفر، 2017، ص 44)

9- يتأثر النمو بالعوامل الداخلية والخارجية والتفاعل بينهما:

تتأثر سرعة النمو وأسلوبه بالظروف المختلفة الداخلية والخارجية، ومن الظروف الداخلية التي تؤثر في النمو الأساس الوراثي للفرد الذي يحدد نقطة الانطلاق لمظاهر النمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي. فنقص إفرازات الغدد قد يؤدي إلى الضعف العقلي، كما في حالة نقص إفراز الغدة الدرقية أو انعدامه، ومن الظروف الخارجية التي تؤثر في النمو التغذية والنشاط الذي يتاح للطفل والراحة وأساليب التعليم والثقافة.

(أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2011، ص 121)

فالنمو ليس فقط نتيجة للعوامل الوراثية أو العوامل البيئية بل هو نتيجة العاملين معا.

10- يخضع النمو لمبدأ الفروق الفردية:

كل فرد ينمو وفقاً لمعايير ودرجة خاصة به سواء أكان ذلك في الذكاء أو السلوك الحركي أو السلوك الانفعالي، والصفات المختلفة تسير في نموها بسرعات مختلفة من طفل لآخر، وكذلك ينمو الجسم بسرعات مختلفة بين الأطفال.

وفهم هذا المبدأ في غاية الأهمية للمعلمين والآباء وغيرهم، ويظهر ذلك منذ الطفولة المبكرة في مجالات النمو مثل الزحف والوقوف والمشي والكلام....الخ.

ويتطلب ذلك من الأخصائي تنويع المهمات التي يكلف بها الطلبة لنتناسب والفروق الفردية التي بينهم، سواء أكانت هذه المهمات حركية أو عقلية، أو انفعالية. فالطلبة الأذكى يحتاجون لأسئلة ونشاطات ذات مستوى عالٍ، أما الطلبة الأقل ذكاءً فيحتاجون لأسئلة أقل صعوبة، ولمهمات أقل تعقيداً. (أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2011، ص 118)

11 . تتأثر كل مرحلة من مراحل النمو بالمرحلة السابقة وتؤثر في المرحلة التالية لها:

كل مرحلة هي امتداد للمرحلة السابقة لها وتمهيد للمرحلة التالية.
مثال: إصابة الأم بالحصبة الألمانية خلال الثلاث أشهر الأولى من الحمل تؤدي إلى ولادة طفل مشوها ويبقى كذلك.
مثال: العام الأول من حياة الطفل يعتبر عاماً حاسماً في نمو الشعور بالثقة، وفقدان الرعاية والاهتمام الكافي يؤدي إلى الفشل في تكوين علاقات اجتماعية صحيحة في المستقبل.

12 . النمو يمكن التنبؤ به:

من خلال التعرف على ما يمتلكه الفرد من قدرات حالية يمكن التنبؤ بما سوف ينجزه مستقبلاً. (ايمان يونس ابراهيم، 2016، ص 05)
إذا كان معدّل النمو ثابت إلى حد كبير بالنسبة لكل طفل، يتبع ذلك أنه من الممكن أن نتنبأ بالمدى الذي يحتمل أن يحدث فيه النمو الناضج للطفل، ومعرفة ما سيكون عليه أقصى مستوى للنمو، ولقد بنيت دراسات تيرمان (Terman, 1926) من فحص تقارير الإنجازات

الفردية للعباقرة الذي عاشوا في الفترة ما بين عامي 1450-1850 أنهم كانوا مبرزين يبزون غيرهم كأطفال فيما يتعلق بسماتهم العقلية المبكرة.

هذا، ويعتبر معرفة ما سيكون عليه أقصى مستوى للنمو العقلي ذو قيمة بالغة في تخطيط تعليمه، وفي مساعدته على التدريب على نمط العمل الذي يحقق فيه أقصى مستوى من الكفاءة والنجاح والإنجاز.

وإذا كان النمو يمكن التنبؤ به فمن الخطأ أن نحاول الهيمنة على توقيت نظام النمو بالتدريب السابق لأوانه؛ لأننا لو حاولنا ذلك فإما أننا لا نحصل من ورائه على أية نتيجة، وإما أن نلحق بالطفل ضرراً بالغاً بسبب تدخلنا في حياة كائن حي يتّصف بالتعقيد والالتزان والاكتفاء الذاتي.

ولذلك: فإننا ينبغي ألا نتوقع نتائج عاجلة من وراء أية طريقة، كما ينبغي ألا نتوقع ظهور الخبرات المرتبطة بالنمو بانتظام يعادل انتظام دقائق الساعة؛ لأن من القدرات المدهشة الكامنة في الكائن الحي قدرته على إحداث تعديلات كثيرة في سياق حياته. (حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2010، ص 45)

13- لكل عملية نمائية فترة حرجة:

يطلق مصطلح الفترة الحرجة على تلك الفترات التي يكون الفرد مهيباً فيها لنمو عضوي أو مهاري أو سلوكي معين؛ إذ يؤدي النضج إلى الاستعداد والتهيؤ لأنماط سلوكية جديدة، ويشير علماء نفس الطفل بأنه توجد فترات حاسمة أو ذات حساسية كبيرة في نمو الأطفال، والتي أثنائها يصبح تعلم أنماط سلوكية ممكناً. (عادل الأشول، 1982، ص 40).

- فالطفل يتعلم الحبو في حوالي الشهر الخامس، ويستطيع الوقوف في حوالي الشهر العاشر، ويبدأ السير بعد إنهاء العام الأول.

- ويستطيع الطفل ضبط عملية الإخراج في النصف الثاني من العام الثاني.

- كما أن الطفل قبيل السادسة يكون مهيباً لتعلم القراءة والكتابة.

ومن ثمَّ فإنَّ التدريب أو تعلُّم المهارات المختلفة في تلك الفترات يأتي بنتائج إيجابية، أمَّا إذا بدأ التعليم في وقت مبكّر للغاية، أو في وقت متأخّر عن الفترة الحرجة للمهارة، فربما يكون هذا التدريب أو التعليم غير مجدٍ أو غير كفاء، وربما يأتي بنتائج ضارة.

(عبد الرحمن سليمان، 1997، ص 277)

ولذا يشير علماء النفس إلى وجوب توفير تفاعلات بيئية أثناء تلك الفترات الحرجة للمهارات المختلفة لكي يتقدّم النمو بصورة عادية، فإذا لم يحدث تفاعل مناسب أثناءها نجد النمو قد يبطئ أو يتوقف. وبمعنى آخر: توجد فترات مناسبة، وأخرى غير مناسبة لتعلّم واكتساب المهارات المختلفة.

- فالأطفال الذين يتلقّون المديح لمحاولاتهم اللغوية المبكرة يكونون أميل إلى التكلّم بطلاقة في عمر مبكر إذا ما قورنوا بالأطفال الذين لا يتلقّون استثارة لفظية عندما يكونون على استعداد أو تهيؤ للكلام.

- وفي ضوء الفترات الحرجة: يشير التربويون إلى أهمية البرامج النظامية التعليمية المبكرة التي تساعد الأطفال على تلقي الاستثارة المعرفية في طفولتهم المبكرة.

- كما تؤكد على أهمية البرامج التدخلية أو الاستثنائية للأطفال المعوّقين لمساعدتهم على تعويض النقص المبكّر للاستثارة.

(حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2010، ص 48-49)

المحاضرة الثالثة

العوامل المؤثرة في عملية النمو

لقد قسّم النمو على نحو تجريدي إلى مجموعة من المراحل، ومن خصائصها أن كل مرحلة ممهدة للاحقتها والتي تتبني بنفسها على المرحلة السابقة لها. وبصورة عامة، فإن العوامل المؤثرة على النمو يمكن حصرها فيما يلي:

أولاً: عوامل الوراثة:

تقوم العوامل الوراثية بتحديد خصائص الكائن الإنساني البنائية والنوعية بحيث يشارك أفراد نوعه في جملة من الخصائص ويتميز عنهم في الوقت نفسه. والعوامل الوراثية كذلك هي المسؤولة عن بعض الأمراض التي يصاب بها الشخص، وتنتقل العوامل الوراثية عن طريق الكروموزومات التي يبلغ عددها 46 كروموزوماً. ويحصل الكائن الإنساني من خلال تكونه على 23 كروموزوماً من أبيه ومثلها من أمه، وهي المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية إليه.

ومن الخصائص التي تعتبر الوراثة مسؤولة عنها الصفات الجسمية لدى الفرد كلون العينين والشعر وشكل الأنف والطول والوزن، وغير خاف أن هناك بعض الاضطرابات العقلية التي تعتبر الوراثة مسؤولة عنها. (أحمد أوزي، 1998)

مثلاً، قد يرث الطفل (على سبيل الخلل الوراثي) كروموسوماً إضافياً يتصل بكروموسوم طبيعي محدد فيصير العدد النهائي للكروموسومات الكائنة بخلايا جسمه 47 بدلاً من 46 كروموسوماً ويرتبط بهذا ظهور أعراض مميزة بلامح الوجه وتأخر في النمو العقلي وتسمى (أعراض داون) نسبة للباحث الذي رصدها وشخصها. (نبيل علي محمود، 1987)

فدور الوراثة يكمن في الحفاظ على الصفات العامة لكل سلالة، التي تشير إلى جوهر الاختلافات بين الأفراد المنحدرين من سلالات مختلفة، كما يهدف أيضا انتقال الخصائص الوراثية من الأجداد إلى الآباء ثم الأبناء إلى المحافظة على التوازن في حياة النوع بصفة عامة وحياة الأفراد بصفة خاصة.

فالوراثة عامل هام من عوامل النمو لأنها تؤثر في مظهره، ووتيرته من حيث الزيادة والنقصان. وتشير بعض الحقائق الواردة فيما يتعلق بعلم الوراثة إلى أن الطفل يرث نصف صفاته الوراثية من والديه، وربع صفاته الوراثية من أجداده المباشرين وقد تتقلص هذه النسب كلما اتجهنا نحو الماضي.

ثانيا : العوامل البيئية:

حين يتم إخصاب بويضة الأم بالحيوان المنوي من الأب تتكون الخلية المخصبة التي تثبت نفسها على جدار الرحم وتتكاثر أضعافاً مضاعفة داخل تلك البيئة الجديدة وعلى هذا فإن العوامل التي تؤثر على رحم الأم تؤثر بالتبعية على الطفل الناشئ بداخله ومن هنا يبدأ تأثير العوامل البيئية. (نبيل علي محمود، 1987)

تشمل العوامل البيئية كل العوامل التي تؤثر على الكائن البشري منذ تكوينه في الرحم. وكل ما يؤثر على النمو خارج نطاق الوراثة يعتبر بيئياً، فقد تصاب الأم الحامل بأمراض تؤثر على الجنين..

وتنقسم البيئة إلى بيئات جزئية منها البيئة المادية الجغرافية الإجتماعية والثقافية والدينية .. الخ، وتشمل البيئة أيضا العوامل الإقتصادية والسياسية والثقافية التي تؤثر على نمو الشخصية. ومن السمات البيئية الخاصة: اللغة والدين والقيم الأخلاقية والسلوك الإجتماعي كالعادات والتقاليد والقوانين والمعايير العامة السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

(محمد عبد الله العابد أبو جعفر، 2014، ص 26-23)

وفما يلي أهم المؤثرات البيئية على النمو الجسدي والصحي للفرد:

أ- الغذاء:

يساعد الغذاء المتزن في النمو الجسدي والعقلي، وكما يقال "العقل السليم في الجسم السليم"، إذ يمكن اعتباره المصدر الأساسي للطاقة الحركية ولتنمية القدرات العقلية المختلفة. كما يعتمد عليه الفرد في نمو وبناء الخلايا الجديدة التي تحل محل الخلايا التالفة وكذا تحديد الطاقة التي يحتاجها الجسم والتي تسهم في تنمية وتوظيف القدرات المختلفة المكونة للشخصية. (سعيد زيان، 2007 ، ص 29)

تختلف متطلبات الجسم من العناصر الغذائية، فالطاقة مثلاً مصدرها الكربوهيدرات التي تتوفر في مواد غذائية غنية بالنشويات والسكريات، والدهنيات، بينما يحتاج تجدد الخلايا ونمو أنسجة الجسم إلى المواد البروتينية التي تتركز في اللحوم والبقوليات، ويحتاج الجسم كذلك إلى المركبات الكيميائية والأملاح والمعادن والفيتامينات التي تكون الفواكه والمواد الخضراء غنية بها، إلا أن جميع المواد الغذائية تحتوي على قليل أو كثير مما يحتاجه الجسم لنموه. والغذاء الصحي المتكامل هو ذلك الغذاء المتنوع الذي يشمل حاجات الجسم الغذائية.

ويؤدي الغذاء غير الكافي أو غير الكامل إلى إخفاق الفرد في تحقيق إمكانيات نموه، فيؤدي نقصه إلى أمراض خاصة كلين العظام، بالإضافة إلى انه يؤدي إلى ضعف الفرد في مقاومة الأمراض، ويؤدي سوء التغذية إلى تأخير النمو وإلى نقص النشاط والتبلد والسقم والهزال وربما الموت، ويؤدي عدم التوازن الغذائي وعدم تناسق المواد الغذائية إلى اضطراب النمو بصفة عامة. وكذلك إلى بعض الآثار الضارة على مستوى التحصيل، إذ يجعل التعليم عملية شاقة ومجهددة غير مثمرة. (حسام أحمد محمد أبو سيف، 2011 ، ص 92)

وكثيراً ما ينتج عن سوء تغذية الحامل إسقاط لجنينها خلال الشهرين الأوليين من الحمل أو تشوهه للوليد. أما نقص التغذية بعد الشهرين الأوليين فيؤدي إلى خلل في الجهاز العصبي

والتناسلي وحتى في تكوين العيون، وبالتالي نجد أن سوء التغذية يمكن أن يؤدي إلى نقص في وزن المواليد والذي يعتبر أمراً بالغ الخطورة لأنه قد يسبب الوفاة.

ومن هنا نجد أن التوازن الغذائي ضروري للمحافظة على نمو الجسم وأداء وظائفه، ووقايته من الأمراض خاصة إذا كان ذلك التوازن يشمل عناصر متكاملة من مواد بروتينية ونشوية وسكرية ودهنية وأملاح معدنية وفيتامينات وماء بالنسب التي يحتاج إليها الجسم.

(الزغلول والهنداوي، 2014، ص 156)

ب- الأمراض:

تؤدي الأمراض إلى عرقلة مسيرة النمو وانحرافها وخاصة تلك الأمراض المزمنة التي تعتبر عاهات مستديمة تضعف نشاط وحيوية الفرد وقد تؤدي إلى الموت المبكر، وقد يصيب المرض الأم الحامل فيؤثر على الجنين، كأمراض الدرن والزهري والحصبة الألمانية.

ج- الحوادث:

قد يندهش الفرد من معدل الإحصائيات التي توثق الإصابات الناتجة عن الحوادث سواء بين الأطفال أو الراشدين، فالحريق والسقوط والتسمم والإختناق والغرق كلها أنواع من الحوادث التي أدت إلى وفاة الكثير من الأطفال والكبار، ناهيك عن حوادث المرور التي تأخذ كل ساعة من الأرواح والأموال والإصابات المسببة لعاهات مستديمة تعيق حياة ونمو الأفراد.

د- التلوث:

وهو تلو الماء أو الهواء أو الغذاء بالإشعاع أو بمواد دخلية تفسده وتؤدي إلى تسممات وأمراض قد يجهل الطب مصدرها لجهله بالمادة المفسدة أو المسببة للمرض أو التسمم، فالكيماويات التي ترش بها الخضروات والفواكه والمواد الغذائية قد تكون سبب كثير من التشوهات التي يولد الطفل مزوداً بها أو بعض الأمراض المستعصية كالسرطانات والأورام مما يعرقل النمو ويحيد به عن مساره الطبيعي، الأمر الذي يتطلب من المجتمع بأسره تشديد الرقابة على أنواع الأغذية المستوردة والمنتجة محلياً لكي لا تصبح مصدراً هداماً لصحة أفراد المجتمع بدلاً من أن تكون مصدر نموهم وحياتهم.

هـ- أعمار الوالدين:

يعتبر العمر المناسب للولادة بين العشرين والخامسة والثلاثين، فجسم الأم في هذه الفترة قادراً على تزويد الجنين بإمكانيات جيدة من الحياة ملؤها الحيوية والنشاط والقوة الجسدية وفرص أفضل لطول العمر والتمتع بالصحة النفسية، لأن الأبوين في هذا العمر قادران على إعطاء الوقت والجهد الكافي لتربية وتنشئة ورعاية أطفالهم، خاصة خلال مراحل العمر الأولى أكثر من أولئك الذين تجاوزوا سن أو لا زالوا يافعين مراهقين قبل العشرينات من العمر، فبجانب الصحة والسلامة والقوة الجسمية التي يتمتع بها الشباب والراشدون قبل الأربعينات حيث تتوفر في هذا العمر مقومات النضج الاجتماعي والصبر والمثابرة وتحمل المسؤولية وغيرها من الصفات الانفعالية والمزاجية الضرورية لتحمل وزر تربية وتنشئة الأطفال.

لا ينبغي ذلك طبعاً اقتصار الإنجاب على هذه المرحلة العمرية فنحن شاهدنا ونشاهد بعض النساء اللاتي ينجبن أطفالاً أصحاء أسوياء وهن في أواخر الأربعينات من العمر إلا أن كثيراً ما تشير الدراسات إلى أن بعض حالات الضعف العقلي راجعة إلى الحمل في سن متقدمة أي ما بعد الأربعينات.

و- الإنفعالات:

ومنها الخوف والغضب والتوتر العصبي خاصة إذا كانت شديدة، فقد يؤدي ذلك إلى اضطرابات فسيولوجية وخلخلة في إفرازات الغدد الصماء والقنوية مما يلحق أضراراً بالغة بنمو الجنين.

ي- الولادة المبكرة أو السابقة لأوانها:

وهي التي قد تنتج عن انفعالات حادة أو أمراض أو نقص تغذية أو ظروف غير طبيعية أخرى تؤدي إلى ولادة الجنين قبل استكمال نموه، مما يعرضه بالتالي إلى عدم القدرة على التكيف مع البيئة الخارجية ويجعله عرضة للإصابة بالأمراض، وفي كثير من الأحيان يؤدي

الأمر إلى موته وخاصة في غياب الخدمات الملائمة كتوفر (الخدمة الوقائية) والمتابعة الطبية الدائمة.

وما يمكن قوله بالنسبة لتأثير الوراثة والبيئة في الشخصية، أن النمو هو محصلة ونتاج التفاعل بين هذين المكونين.

ثالثاً : النضج والتدريب والتعلم:

النضج هو النمو الطبيعي الطبيعي التلقائي الذي لا يحتاج إلى تعليم أو تدريب، فنمو القدرات العقلية يحتاج إلى نضج في الجهاز العصبي أولاً، ونمو المهارات كالمشي والقفز والكتابة تحتاج إلى نمو الأرجل والأيدي أولاً، ونمو الكلام والمفردات الغوية يحتاج إلى نمو الحبال الصوتية وجهاز الكلام والجهاز العصبي... وهكذا. فالنضج الجسمي العضوي شرط أساس للنمو العقلي والاجتماعي والإنفعالي.

أما التدريب والتعليم فهما ضروريان أيضاً إذا ما توفر النضج لنمو أي مهارة أو قوة حركية أو عقلية أو معرفية، فلو لم نعلم الطفل اللغة العربية فسوف لن يتعلمها حتى وإن كان جهازه الكلامي قادراً على النطق وكذلك الكتابة والموسيقى والرياضة وغيرها من المهارات الحركية والعقلية. (محمد عبد الله العابد أبو جعفر، 2014، ص 26-23)

ومن أنواع النضج نجد:

- **النضج العضوي أو الجسمي:** درجة نمو أعضاء الجسم بما يمكنها من القيام بوظائف محددة، مثل درجة نمو عضلات اليد و الأصابع والجهاز العصبي الذي يمكن الطفل من الكتابة أو الرسم.

- **النضج العقلي:** درجة نمو الوظائف العقلية كالتفكير، الانتباه التي تمكن الفرد من التعلم وحل المشكلات..

- **النضج الاجتماعي:** وصول الفرد إلى درجة من النمو تمكنه من التفاعل الاجتماعي مع أفراد البيئة التي يعيش فيه..

- **النضج الانفعالي:** وصول الفرد إلى درجة من النمو تمكنه من التحكم في انفعالاته... لا يشترط النضج قيام الفرد بنشاط، يحدث دون إرادة الإنسان، يؤدي إلى ظهور أنماط عامة من السلوك ويرجع سببه إلى عامل الوراثة بينما يحدث التعلم بسبب قيام الفرد بنشاط، وهو عملية إرادية مع وجود دافع يؤدي إلى ظهور أنماط خاصة من السلوك، ويرجع السبب في التعلم إلى الظروف البيئية.

رابعاً - نشاط ووظيفة الغدد:

يحتوي الجسم على مجموعتين من الغدد، إحداهما غير صماء وتفرز هرموناتها خارج الجسم مثل اللعابية و العرقية والدمعية، والأخرى صماء تفرز هرموناتها في الدم مباشرة وترتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بكثير من جوانب السلوك البشري، والوظيفة الرئيسية لها إفراز مواد كيميائية (هرمونات) تساهم في تحقيق تكامل وظائف الجسم ونموه عبر المراحل الارتقائية المختلفة.

تسيطر الهرمونات على وظائف الأعضاء المختلفة، وتتعاون معاً على تحديد شكل الجسم وذلك بتأثيرها على نمو الجنين وسيطرتها على تطوره، وتأثيرها في تنظيم عملية تغذية الطفل ومدى استفادته من هذه التغذية. وهذا الاختلال في إفراز الهرمونات يؤدي إلى تغيير وتحول النمو عن مجراه الطبيعي، فيقف في بعض النواحي، أو يزداد في نواحي بطريقة أخرى تعرض حياة الفرد للمرض أو للفناء. وهي تنظم أيضاً النشاط الحيوي العام والنشاط الحيوي العام العقلي للكائن الحي.

(أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2011، ص126)

تسمى الغدد الصماء بالغدد اللاقنوية، أما الغدد غير الصماء تسمى بالغدد القنوية.

وفيما يلي بيان لأنواع الغدد ومواقعها وآثار زيادة أو نقصان إفرازاتها على النمو:

أ- الغدة النخامية:

وتقع تحت سطح المخ وتفرز (هرمون النمو) وهي همزة الوصل بين جهاز الغدد والجهاز العصبي مسئولة على نشاط الغدد الأخرى، حيث يتحكم الفص الأمامي في مسيرة النمو بينما يؤثر الفص الخلفي على ضغط الدم وتنظيم الماء في الجسم. ويتسبب نقص إفراز الغدة النخامية في تأخر النمو بصفة عامة كما تتسبب زيادة إفرازاتها في الضخامة الجسمية إلى درجة غير طبيعية.

ب- الغدة الصنوبرية:

وتقع تحت سطح المخ وعند قاعدته وتفرز هرمونات (الميلاتونين والسبورتونين والنورادريثالين) ولها أثر بالغ على هرمونات الجنس كما تؤثر في كيمياء المخ. ويسبب نقص إفرازاتها في البكور الجسمي، واضطراب الحالة الإنفعالية كما تتسبب الزيادة في إفرازاتها اضطرابات النشاط الجنسي واضطراب النمو بصفة عامة.

ج- الغدة الدرقية:

وموقعها في العنق أمام القصبة الهوائية ولها فسان جانبيان وجزء متوسط بينهما التحكم في عملية الأيض بصفة ونقص إفرازها في الطفولة يسبب الضعف العقلي (القزامة أو القصاع) ونقص إفرازها عند الكبار يسبب التأخر العام في النمو الجسمي والعقلي (الملسيديما) أما زيادة إفرازاتها فتسبب زيادة الأيض وتضخم الغدة الدرقية.

د- الغدد جارات الدرقية:

وهي أربع غدد صغيرة على سطح الغدة الدرقية وتفرز هرمون (الباراثورمون) ووظيفتها تنظيم أيض الكالسيوم والنفور ويسبب نقص إفرازاتها مرض الكزاز أو التانوس (تقلص العضلات والموت) وتسبب زيادة الإفراز في تضخم الغدة الدرقية وهشاشة وتتشوه العظام.



هـ- الغدة التيموسية: وموقعها في التجويف الصدري وإفرازاتها غير معروفة ووظيفتها كف النمو الجنسي وتضمهر عند البلوغ ونقص إفرازها يسبب البكور الجنسي.

(حامد عبد السلام زهران، 1987، ص ص 43-45)

و- الغدة الكظرية:

هما اثنتان فوق الكليتين وكل منهما يتكون من جزأين: الأول داخلي وهو اللب أو النخاع ويفرز الأدرينالين والنورادرينالين والآخر خارجي وهو القشرة أو اللحاء ويفرز الهرمونات الستيرويدية وهي ثلاثة أنواع :

- الهرمونات السكرية- القشرية وبتزعمها الكورتيزون التي لها تأثيرات عديدة منها تأثير مضاد للالتهابات والمناعة والحساسية.
- الهرمونات المعدنية-قشرية وبتزعمها الألدوستيرون الذي يحبس الماء والصوديوم في الجسم ويطرح البوتاسيوم من الكلية.
- الأندروجينات التي تختص بالذكورة والاستروجينات التي تختص بالأنوثة.

والمعروف أن إفراز كل من هرمون الأدرينالين والنورادرينالين لهما تأثير هام في الحالات الانفعالية والضيق والخوف، حيث يعمل الأدرينالين بالأخص على اتساع بؤبؤ العين والصدر وأوعية القصبة الهوائية وارتفاع الضغط وزيادة التنفس ودقات القلب، مع توقف عمليات الهضم والزيادة من قابلية العضلة للتنبيه...الخ. وهذه كلها أعراض فزيولوجية وجسمية تساعد الجسم على تهيئة طاقاته لمواجهة الطوارئ بصورة ايجابية وفعالة. أما هرمون النورادرينالين فتأثيره شبيهه بسابقه، غير أن مفعوله أقوى في حالات الغضب.

ومن أهم وظائف الأدرينالين والنورأدرينالين توسيع حدقة العين-وزيادة سرعة القلب وقوة دقاته- ارخاء عضلات الشعب الهوائية، كف نشاط جدران المعدة، تحويل الجليكوجين في الكبد إلى سكر جلوكوز، ارخاء جسم المثانة وانقباض العضلة العاصرة، مقاومة التعب

العضلي وزيادة قابلية العضلة للتعب، زيادة عدد كرات الدم الحمراء -سرعة تكوين الجلطة الدموية منعا للنزيف. (نصر الدين جابر، 2015 ، ص114-115)

ي- غدد جزر لانجرهانز:

وتقع في البنكرياس وتفرز (الإنسولين والجلوكاجون)، وهي مسئولة عن أيض الكربوهيدرات وتسبب زيادة الإفرازات في غيبوبة الأنسولين ونقص الإفراز يسبب مرض السكر. (محمد عبد الله العابد أبو جعفر، 2014، ص 35).

ز- الغدد التناسلية:

الخصيتان لدى الذكور تنظم نمو الخصائص الجنسية الثانوية وتحافظ عليها مثل شعر الوجه وخشونة الجلد وزيادة النمو العضلي ونمو أعضاء التناسل وتسبب في حدوث التنبه والاستثارة الجنسية والإفراز الخارجي للخصيتين والحيوانات المنوية وأهم إفرازاتها الداخلية التستستيرون وهو هرمون الذكورة. المبيضان لدى الإناث تنظم نمو الخصائص الجنسية الثانوية وتهيئ الظروف العضوية للحمل وإفرازها الخارجي البويضات أما الداخلي فهو هرمون الايستروجين وهو هرمون الأنثوي الأساسي، وله أثره في ظهور الخصائص الجنسية الثانوية لدى الإناث؛ والبروجسترون (هرمون الحمل). (أحمد محمد عبد الخالق، 2000، ص-152-153)

المحاضرة الرابعة

الطرق العلمية لدراسة النمو النفسي

تعتبر المناهج والطرق العلمية للبحث ضرورية لبناء أساس سليم لنمو العلم، ولقد تقدمت مناهج وطرق البحث في علم نفس النمو في مراحل المتابعة وأصبحت الآن أكثر علمية، وتهدف إلى الوصول إلى حقائق وقوانين ونظريات راسخة في علم نفس النمو. ولا يوجد منهج واحد صالح لدراسة كل مظاهر النمو بل يختلف منهج الدراسة وطريقته حسب الموضوع.

أولاً: المنهج الوصفي

المنهج الوصفي هي الطريقة التي ترتبط بظاهرة ما بقصد وصفها وصفاً دقيقاً، وتفسيرها تفسيراً علمياً، والمنهج الوصفي يشبه الإطار العام الذي تقع تحته كل البحوث التي تصنف الظواهر، وتوضح العلاقات بين المتغيرات التي تشمل عليها، والتي تهدف إلى الكشف عن الأسباب الكامنة وراء سلوك معين من معطيات سابقة، مستخدماً في ذلك طرق الملاحظة المباشرة والمعينة العقلية والتنبؤ. (محمود عبد الحليم منسي، 2003، 201)

تهدف البحوث الوصفية إلى وصف ظواهر أو أحداث أو أشياء معينة وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات عنها ووصف الظروف الخاصة بها وتقرير حالتها كما توجد عليه في الواقع. وتشمل البحوث الوصفية أنواعاً فرعية متعددة تشمل الدراسات المسحية ودراسات الحالة ودراسات النمو أو الدراسات التطويرية. وفي كثير من الحالات لا تقف البحوث الوصفية عند حد الوصف أو التشخيص الوصفي، وتهتم أيضاً بتقرير ما ينبغي أن تكون عليه الأشياء والظواهر التي يتناولها البحث وذلك في ضوء قيم أو معايير معينة واقتراح الخطوات أو الأساليب التي يمكن أن تتبع للوصول بها إلى الصورة التي ينبغي أن تكون عليه في ضوء هذه المعايير أو القيم. وهذه البحوث تسمى بالبحوث الوصفية المعيارية أو

التقويمية Normative or Evaluative Research، ويستخدم لجميع البيانات والمعلومات في أنواع البحوث الوصفية أساليب ووسائل متعددة مثل الملاحظة، المقابلة، الاختبارات، الاستفتاءات، المقاييس المتدرجة. (فان دالين، 1994، ص 292، 293)

ويسهل فهم طبيعة البحوث الوصفية إذا حصل الفرد أولاً على بعض المعلومات عن خطوات البحث المختلفة، والطرق المتباينة المستخدمة في جمع البيانات والتعبير عنها، والأنواع العامة التي يمكن أن تصنف تحتها الدراسات.

لا يقدم الباحثون في الدراسات الوصفية مجرد اعتقادات خاصة، أو بيانات مستمدة من ملاحظات عرضية أو سطحية. ولكن كما هو الحال في أي بحث يقومون بعناية بالآتي:

- 1- فحص الموقف المشكل.
 - 2- تحديد مشكلتهم ووضع فروضهم.
 - 3- تسجيل الافتراضات التي بنيت عليها فروضهم وإجراءاتهم.
 - 4- اختيار المفحوصين المناسبين والمواد المصدرية الملائمة.
 - 5- اختيار أساليب جمع البيانات أو أعدادها.
 - 6- وضع قواعد لتصنيف البيانات تتسم بعدم الغموض، وملاءمة الغرض من الدراسة، والقدرة على إبراز أوجه التشابه أو الاختلاف أو العلاقات ذات المغزى.
 - 7- تقنين أساليب جمع البيانات.
 - 8- القيام بملاحظات موضوعية منتقاة بطريقة منظمة ومميزة بشكل دقيق.
 - 9- وصف نتائجهم وتحليلها وتفسيرها في عبارات واضحة محددة.
- ويسعى الباحثون إلى أكثر من مجرد الوصف فهم ليسوا - أو ينبغي ألا يكونوا - مجرد مبوين أو مجدولين. يجمع الباحثون الأكفاء الأدلة على أساس فرض أو نظرية ما، ويقومون بتبويب البيانات وتلخيصها بعناية، ثم يحللونها بعمق، في محاولة لاستخلاص تعميمات ذات مغزى تؤدي إلى تقدم المعرفة. (فان دالين، 1994، ص 292، 293)

- خصائص الأسلوب الوصفي في البحث :

يتميز الأسلوب الوصفي بعدد من الخصائص تتمثل فيما يلي:

- أنه يقدم معلومات وحقائق عن واقع الظاهرة الحالية.
 - يوضح العلاقة بين الظواهر المختلفة والعلاقة في الظاهرة نفسها.
- يساعد في التنبؤ بمستقبل الظاهرة نفسها

(سامي محمد ملحم، 2002، ص 353)

ثانياً: المنهج التجريبي:

المنهج التجريبي هو المنهج الذي تتضح فيه معالم الطريقة العلمية في التفكير بصورة بلية وواضحة، فهو يبدأ بالملاحظة ويتلوها بوضع الفروض ويتبعها بتحقيق الفرض بواسطة التجربة، ثم يصل عن طريق هذه الخطوات إلى معرفة القوانين التي تكشف عن العلاقات القائمة بين الظواهر.

يعرفه يعرف موريس أنجرس (1996)، بأنه طريقة لدراسة موضوع بحث بإخضاعه للتجربة وجعله دراسة قائمة على السببية (موريس أنجرس، تر. بوزيد صحراوي وآخرون، 2004، ص 102)

والبحث التجريبي هو التسمية التي تطلق على تصميم البحث الذي يهدف إلى اختبار علاقات العلة والمعلول حتى يصل إلى أسباب الظواهر.

وقد يبدو البحث التجريبي بالنسبة لبعض الباحثين أكثر تصميمات البحوث تعقيداً، ولكن إذا فهم الباحث قواعده وأساسه فإنه يجده الطريقة الوحيدة التي يحصل منها على إجابات تتعلق بأسباب حدوث المتغيرات، ذلك أن البحوث التجريبية هي الطريقة الوحيدة لاختبار الفروض حول العلاقات السببية بشكل مباشر. ورغم أن البحث التجريبي يشترك مع غيره من البحوث في كثير من جوانب خطة البحث إلا أنه ينفرد ببعض الأسس التي جعلت الباحثين يضعونه

في جانب والبحوث الأخرى في جانب آخر. ويعد المنهج التجريبي أقرب مناهج البحوث لحل المشكلات بالطريقة العلمية. (رجاء أبو علام، 2001، ص225)

هذا وتشمل التجربة العناصر والخطوات الآتية:

أ- المجموعة التجريبية : وهي التي يقوم الباحث بالتجريب عليها.

ب- المجموعة الضابطة: وهي المجموعة المشابهة أو المطابقة للمجموعة التجريبية في جميع خصائصها ما عدا متغيرات التجريب الذي يريد الباحث قياس أثرها على المجموعة التجريبية

ج- تشمل التجربة ثلاث أنواع من المتغيرات وهي:

- متغيرات مستقلة: وهي التي يريد الباحث قياس أثرها على مجموعته التجريبية.
- متغيرات تابعة: وهي التي يريد الباحث قياس أثر المتغيرات التجريبية عليها.
- متغيرات دخيلة: وهي تلك المتغيرات التي قد تتدخل في سير التجربة وقد تفتت نتائجها دون علم الباحث. (فوزيه بنت عبد الرحم، محمد عبد الله أبو جعفر، 2017)

- خطوات المنهج التجريبي:

يتضمن البحث التجريبي عددا من الخطوات والمراحل المبرمجة أهمها ملاحظة المشكلة موضوع الاهتمام، وتحديد أسبابها على شكل فرضيات قابلة للاختبار، مبنية على أسس نظرية قوية، ومن ثمة وضع تصميم للتجربة ونوعها ومكان إجرائها وصولاً إلى تنفيذها.

- التحكم في ظروف التجارب بتدوين القياسات للكشف عن العلاقات بين المتغيرات، إضافة إلى الضبط الدقيق للمتغيرات والتحقق من ارتباط تغير أحد المتغيرات بالتغير في الآخر.

- تكرار التجربة عدة مرات بالاعتماد على باحث واحد أو عدد من الباحثين للتأكد من صحة النتائج، ولتحقيق الموضوعية كخاصية أساسية من خصائص العلم.

- الضبط المحكم مرة أخرى لجميع المتغيرات المؤثرة في التجربة لزيادة التحقق من العلاقات السببية الموجودة بين المتغيرات، لأن دقة النتائج تزيد بزيادة درجات الضبط والتحكم في المتغيرات.

- كما أن التجربة تقوم على الإجراءات التالية:

- التعرف على المشكلة وتحديدها.
- صياغة الفروض واستنباط ما يترتب عنها.
- وضع تصميم تجريبي يتضمن اختبار العينة وتصنيف المفحوصين إلى مجموعات متجانسة، تحديد المتغيرات الدخيلة وضبطها، اختيار أو تصميم وسائل القياس والتحقق من صدقها، إجراء الدراسة الاستطلاعية، تحديد مكان وزمان التجربة ومدتها.
- إجراء التجربة.
- تنظيم البيانات ومعالجتها.
- تطبيق اختبار دلالة مناسب لتحديد مدى الثقة في نتائج الدراسة.

(فاتن صلاح عبد الصادق، 2014، ص 43)

وبما انه هذا صعب في استعماله لأننا نستعمل التجارب على الأطفال أي وضعه في وضعيات غريبة عنه للدراسة، فهذا ممنوع أخلاقيا حسب القوانين الخاصة بالممارسة ولهذا استعملت تجارب حول الحيوان لفهم الإنسان.

مثال: بوبي **Boby** عند دراسته الحيوان لاكتشاف الحرمان العاطفي.

وعليه يبقى المنهج التجريبي كمساعد في إيجاد تقنيات ووسائل كالروايز (رائز الذكاء).

ثالثاً: طريقة دراسة حالة

هي دراسة معمقة للفرد، ودراسة الحالة تزودنا بمعلومات حول مخاوف الفرد، وخبراته، وعلاقاته الأسرية، وصحته وأية أمور أخرى تساعدنا في فهم سلوك الفرد وتفكيره. وتستخدم في دراسة الحالة إحدى الوسائل أو جميعها التي نتحدث عنها كالمقابلة والاستبيانات والملاحظة والنهج الإكلينيكي وغيرها.

فدراسة الحالة تركز على خلفية الأسرة والوضع الاقتصادي والاجتماعي، والسجلات الصحية، وتاريخ العمل والأداء على الاختبارات النفسية، ومع أن لدراسة الحالة فوائد كثيرة إلا إن لها بعض السلبيات إذ لا نستطيع أن نقارن الحالات التي توجه إليهم أسئلة واختبارات نفسية مختلفة أو تتم ملاحظتهم تحت ظروف مختلفة، كما أن دراسة الحالة ينقصها التعميم، أي أننا لا نستطيع في دراستنا للحالة أن نعممها على جميع الحالات الأخرى، ودراسة مجموعة صغيرة لا نستطيع أيضاً تعميمها على معظم الناس.

وتهدف دراسة الحالة إلى إلقاء الضوء على العمليات والعوامل والمظاهر التي يقوم عليها نموذج الحالة سواء كان شخصاً أو أسرة أو جماعة. والتعرف على أبعاد مشكلة معينة بها من أجل تهيئة الظروف الملائمة لإجراء بحث أكثر شمولاً على الحالة نفسها.

(حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2010، ص 175)

وتشتمل بطاقة دراسة الحالة على مجموعة من البيانات والمعلومات. وتعتمد على وسائل متعددة موضوعية وذاتية في جمعها، وقد تختلف البيانات في مجملها من بطاقة دراسة حالة إلى بطاقة أخرى. **(سامي محمد ملحم، 2002، ص 373)**

ومن جوانب دراسة الحالة ما يلي:

أ- **النمو الجسمي:** ويتناول مختلف جوانبه، إلى جانب صحة الفرد، وما تعرّض له من أمراض، والعمر الذي بدأ فيه التسنين، والجلوس، والحبو، والمشي، والكلام لأول مرّة، وبيانات عن الرضاعة والفظام، وعاداته في الأكل، والنوم، والتدريب على الإخراج،

والصعوبات التي واجهها في هذا التدريب، وبيانات عمّا إذا كان التدريب قد تمّ تدريجيًا أم مفاجئًا، يتّسم بالتسامح والود أو بالصرامة والقسوة.. إلخ.

ب- السلوكيات الاجتماعية: الاستجابة لمولد الأشقاء، معاملة الوالدية له، التخيلات عن الذات، الأبطال المفضّلون، الاتجاه السائد في الطفولة الأولى "متعاون، مطيع، محب للظهور، خجول، سلبي ... إلخ."

ج- عادات النوم: مع مَنْ ينام، متى بدأ الاستقلال في النوم، مشكلات النوم.

د- مشكلات النمو: والعمر أثناءها، الإجراءات التي تتخذ مع الحالة، من ذلك: العصبية، القلق، المخاوف الزائدة، الخجل، الميل للمشاجرة، المزاج الحادّ، الغيرة، المروق، السرقة، الكذب، التدخين، التعاطي، مصّ الأصابع، قضم الأظافر، الصداع، اللزمات العصبية.. إلخ.

هـ- أرجاع الطفولة المبكرة: كنبوات الطبع، العناد، الريبة، التجهم. أرجاع خوف، أرجاع حب، أو تعلق زائد بالوالدين، اعتماد وحب مسرف، متوازن، سريع التشتت.. إلخ.

وأرجاع في الطفولة المتأخرة والمراهقة: حرية التعبير، الاعتماد على الوالدين. هل الشخص بدأ يتحرر عن ضبط الوالدين، السعادة بالنشاط الجمعي، نزعتة السائدة في السعادة، تحمّل الهموم، الانطلاق، الانبساط، هل له أصدقاء كثيرين، هل يتعامل مع الجنس الآخر بسهولة، هل لديه سجل بالجناح..

ز- بيانات من الجنس، العمر عند البلوغ، المشكلات الجنسية، استجابات الوالدين لهذه المشكلات. (حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2010، ص 175)

رابعًا: الطريقة الطولية

تعرف هذه الطريقة بالطريقة التتبعية، وهي من أقدم وأبسط الطرائق في العلوم الاجتماعية وفيها يتتبع الباحث النمو النفسي في كافة مظاهره لفرد أو لجماعة من الأفراد في مختلف الأعمار طوال فترة زمنية معينة، وقد تمتد الفترة الزمنية التي يتبع فيها الباحث الفرد

نفسه إلى عشر سنوات أو أكثر في أغلب الأحيان، أي أن الباحث يتتبع النمو وتطور تغيره على أفراد معينين في الأعمار المتتابعة المتلاحقة بالنسبة لمظاهر النمو المختلفة لذلك توصف هذه الطريقة بالطريقة الطولية. (ربحي مصطفى عليان، 2008، ص 52-59) وتتطبق هذه الطريقة على عينات صغيرة جدا قد تصل إلى فرد واحد وتتطلب مزيدا من الوقت والجهد والصبر، لكن النتائج في الغالب يصعب تعميمها. مثال ذلك: أننا نستطيع دراسة النمو في الأداء في اختبارات الذكاء كما فعل "تيرمان" حين تتبع نمو مجموعة من الأطفال الموهوبين على مدى 18 سنة، أو القدرة على حل المشاكل أو السمات الجسمية، كما فعل ذلك "جيزل" حين تتبع نمو الأطفال من الميلاد إلى الخامسة ثم العاشرة، ومقارنة اتجاهات النمو (التغير في السن) بالفروق البسيطة في السن.

من مزايا هذه الطريقة الطولية:

- قياس النمو الحقيقي: من خلال مقارنة نفس الأفراد مع تقدمهم في العمر.
- إمكانية تتبع حالة أو حالات معينة من أفراد العينة: عند وجود فرد درجاته غير طبيعية سواء زيادة أو نقصاً.
- معرفة الظروف السابقة لأفراد العينة: فالباحث يتابع مجموعة واحدة وبالتالي يعرف إلى حد ما الظروف والأحداث التي حصلت للمجموعة في المدة الماضية والتي كان يتابعهم فيها. (حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2001، ص 169-170)

ومن عيوب هذه الطريقة الطولية:

- وجود الملاحظ قد يؤثر على النتائج، فينسب للطفل أفكار وعبارات لم يتلفظ بها.
- مثل هذه الطرق في مجال البحث تأخذ وقتا طويلا وتؤدي به إلى أخطاء منهجية.

خامسا: الطريقة العرضية (الأفقية)

تقوم هذه الطريقة على دراسة الخواص النفسية لمجموعة أو مجموعات من الأطفال الذين يمثلون عمرا زمنيا واحدا مثل أطفال من السادسة أو السابعة كأن تختار مجموعة من الأطفال تتكون من عشرة أطفال في أعمار مختلفة هي سنتان (02) و أربعة (04) سنوات وست (06) سنوات وعشر (10) سنوات ، ثم تقارن بينهم في الظاهرة التي تعمل على دراستها لديهم ، كالسلوك الاجتماعي مثلا ، أو التوافق النفسي أو التتميط الجنسي.

(عباس محمود عوض، 1999 ، ص 17-18)

وتوصف هذه الطريقة بأنها مستعرضة لأنها تتصب على دراسة قطاع عرضي في النمو.

وتعتمد الطريقة المستعرضة الآن على الاختبارات الجماعية والاستفتاءات والطرق الحديثة للقياس النفسي في الكشف عن المظاهر الأساسية لكل مرحلة من مراحل الحياة.

من مزايا هذه الطريقة العرضية:

تتلخص مزايا طريقة البحث المستعرضة في أنها تقصر الوقت اللازم للحصول على المعلومات اللازمة فيما يختص بالنمو فلا يكون علينا أن ننتظر عشرين عاما مثلا حتى ندرس النمو من الميلاد حتى سن العشرين، بل يمكن أن نحصل على مجموعات من الأفراد عند نقاط معينة على طول هذه الفترة ونقوم بدرستها في وقت واحد فتختصر بذلك الوقت اختصارا شديداً.

من عيوب هذه الطريقة العرضية:

عدم توفر العينة المتطابقة التي تكفي للبحث الدقيق (كما يحدث عنه دراسة سلوك الرضع، أو المسنين،.. الخ).

- قد يرفض بعض الأفراد صغاراً أو كباراً مقابلة الباحث أو أن يكونوا موضوعاً للدراسة.

- تخوف بعض أفراد العينة من أسلوب الدراسة: إما من نتائجها، أو عدم توافر السرية التامة مما يشعرهم بتهديد حاجتهم للأمن.

- قد لا يمكن في الطريقة المستعرضة تثبيت كل العوامل التي تؤثر في سلوك فئات العمر المختلفة. (حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2001، ص 169)
والواقع أن كلا من الطريقة الطولية والمستعرضة طريقتان متكاملتان لا غنى للباحث عنهما.

المحاضرة الخامسة:

أسس تقسيم النمو إلى مراحل

حياة الإنسان وحدة واحدة لا تتجزأ، والنمو الإنساني عملية مستمرة متصلة ومتداخلة دون حدود فاصلة، فالإنسان ينتقل من مرحلة نمو إلى أخرى بشكل تدريجي وليس فجائي، وليس هناك حدود فاصلة بين كل مرحلة والتي تليها. وعملية تقسيم النمو إلى مراحل يقصد بها تسهيل الدراسة والبحث.

1- أسس تقسيم النمو إلى مراحل:

وقد لاحظ العلماء أن لكل فترة من فترات حياة الإنسان مجموعة من السمات والخصائص التي تميزها عن الفترات الأخرى لذلك لجأ العلماء إلى تقسيم العمر إلى مراحل تبعاً لمجموعة من الأسس، هي:

1-1- الأساس الغددي العضوي.

يعتمد على نشاط الغدد الصنوبرية والتيموسية في تعطيل أو تنشيط الغدد التناسلية، وتبعاً لهذا الأساس يقسم النمو إلى المراحل التالية:

1. مرحلة ما قبل الميلاد: من الإخصاب إلى الولادة (9 شهور)
2. مرحلة المهد: من الولادة وحتى نهاية الأسبوع الثاني.
3. مرحلة الرضاعة: من نهاية الأسبوع الثاني إلى نهاية السنة الثانية.
4. مرحلة الطفولة المبكرة: من بداية السنة الثالثة حتى نهاية السنة السادسة.
5. مرحلة الطفولة المتأخرة: من (07-10 سنة) للإناث ، ومن (7-12 سنة) للذكور.
6. مرحلة البلوغ: من (11-13 سنة) عند الإناث ، ومن (12-14 سنة) للذكور.
7. مرحلة المراهقة المبكرة: نهاية الـ (13-17 سنة) للإناث ومن الـ (14-17 سنة) للذكور.

- 8 . مرحلة المراهقة المتأخرة: من الـ 17 حتى الـ 21 سنة.
- 9 . مرحلة الرشد: من الـ 21 حتى الـ 40 سنة.
- 10 . مرحلة وسط العمر: من الـ 40 حتى الـ 60 سنة.
- 11 . مرحلة الشيخوخة: من الـ 60 حتى نهاية العمر.

1-2- الأساس الاجتماعي.

يعتمد على مدى تطور علاقة الطفل بالبيئة التي يعيش فيها، وعلى مدى اتساع دائرة علاقات الطفل الاجتماعية والذي يظهر من خلال لعب الأطفال.

وتقسم المراحل على النحو التالي :

- 1 . مرحلة اللعب الإنعزالي: يلعب الطفل بمفرده دون مشاركة أحد.
- 2 . مرحلة اللعب الانفرادي (المتوازي): يلعب مع الآخرين ولكن يحتفظ بخصائصه الفردية.
- 3 . مرحلة اللعب الجماعي: ويفضل الطفل اللعب مع زملائه كما يفضل ممارسة بعض الألعاب الجماعية.

ويؤخذ على هذا التقسيم أنه اعتمد على نشاط واحد فقط هو (اللعب) قسم على أساسه مراحل النمو وأهمل باقي الأنشطة التي تعبر عن النمو.

1-3- الأساس التربوي.

وتصنف في مراحل تناظر المراحل التعليمية وهي:

- 1 . مرحلة ما قبل المدرسة.
- 2 . مرحلة التعليم الأساسي.
- 3 . مرحلة التعليم الثانوي.
- 4 . مرحلة التعليم الجامعي والعالي.

1-4- الأساس التطوري.

ويعتمد على أن تطور حياة الإنسان هي تلخيص لتطور حياة البشرية من الإنسان الأول وحتى إنسان العصور الحديثة. (إيمان يونس ابراهيم، 2016، ص ص 18، 19)

1-5- الأساس الوظيفي:

وصق شارولت بوهلر مراحل النمو على أساس وظيفي كما يلي:

- مرحلة النمو حتى سن 14 سنة
- مرحلة الاستطلاع بين 14 و 25 سنة.
- مرحلة البناء من 25 و 40 سنة.
- مرحلة الاستقرار من 40 و 60 سنة.
- مرحلة الهدم بعد سن الستين.

(أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2010، ص 146)

2- أهمية تقسيم النمو إلى مراحل:

2-1- معرفة معايير النمو لكل مرحلة.

تحدد معايير النمو ما يكون عليه النمو في النواحي الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية للطفل في سن معين. فإذا تحدد أن الطفل يستطيع المشي في سن 14 الى 18 شهرا، فإن الطفل إذا تخطى هذا العمر بدون مشي يعتبر أنه متأخرا في هذه الصفة.

2-2- التعرف على مطالب النمو لكل مرحلة.

ويختلف مفهوم مطالب النمو عن مفهوم معايير النمو، حيث تدل المعايير على ما يجب أن يكون عليه الطفل في سن معين، بينما مطالب النمو تحدد الأتي:

أ . التوقعات التي يرغب المجتمع من الفرد إنجازها.

ب . الخدمات التي يجب على المجتمع أن يوفرها لأعضائه.

فإذا كان المجتمع يتوقع من أطفاله في سن السادسة أن يبدؤوا في تعلم المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب، فمن واجبه أن يوفر لهم متطلبات اكتساب تلك المهارات من مدارس وأدوات ومعلمين يمكن أن تحقق هذه المهام.

وتقسيم حياة الإنسان إلى مراحل يكون بهدف الدراسة فقط، ذلك أن واقع الحياة النفسية تيار متصل لا يخضع للتقسيم، ويشبه البعض تقسيم فترة النمو إلى مراحل بتقسيم فصول الشتاء والربيع والصيف والخريف، فمن الصعوبة أن نحدد يوماً ينتهي فيه فصل الشتاء فيبدأ فصل الربيع من الناحية الجغرافية الواقعية الفعلية، ذلك على الرغم من أن الجغرافيين يحددون أيما معينة لبدائيات ونهايات هذه الفصول... (إيمان يونس ابراهيم، 2016، ص ص 19، 20)

3- مطالب النمو خلال مراحل عمر الإنسان:

لكل مرحلة من مراحل النمو مطالب يجب أن تتحقق حتى يستطيع الفرد أن يتحقق له التوافق والسعادة مع نفسه ومع من حوله.

يعرف **هافجهرست Havighurst** متطلبات النمو على أنه مطلب ينشأ في مرحلة معينة من حياة الفرد، وإنجاز ناجح يؤدي إلى سعادته ونجاحه في واجبات تالية، بينما يؤدي الفشل إلى التعاسة وعدم تقبل المجتمع له، وصعوبة مع المتطلبات التالية. ويرى **كوري وهيريك** أن متطلبات النمو تشبه الدروس التي يجب تعلمها إذا ما كان على الفرد أن يتكيف بدرجة سليمة وصحية مع ثقافته.

تنشأ متطلبات النمو أساساً نتيجة:

- النضج الجسمي (تعلم المشي)
- الضغوط الثقافية للمجتمع (تعلم القراءة)
- قيم الفرد وطموحاته (الإعداد للمهنة)

(أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2010، ص 141)

ولكل مرحلة من مراحل النمو مطالبها الخاصة بها. و يلخص هافجهرست (1952) هذه المطالب

على النحو التالي:


أ- مرحلة من الميلاد الى ستة سنوات(مرحلة الرضيع والطفولة المبكرة أي إلى 6 سنوات)، وتتمثل هذه المطالب في تعلم:

- تناول الطعام.
 - المشي والكلام وضبط الإخراج.
 - الثقة في الذات وفي الآخرين.
 - استكشاف البيئة.
 - التوافق مع طفل آخر من جنسه.
 - الارتباط اجتماعياً وعاطفياً مع الآخرين.
 - التمييز بين الخطأ والصواب وتكوين الضمير.
- ب- مرحلة من 6 سنوات الى 12 سنة (الطفولة الوسطى):

- توسيع معرفته عن بيئته المادية والاجتماعية.
- تعلم دور الجنس المناسب (تعلم دور الذكر والأنثى).
- نمو الثقة وتقدير الذات.
- اكتساب مهارات أكاديمية ومهارات التفكير والتمييز.
- تعلم المهارات الجسمية والاجتماعية.

ج- مرحلة النمو من 12 إلى 15 سنة (المراهقة).

- نمو الثقة بالذات والإحساس بالهوية.
- التكيف مع التغيرات الجسمية.
- اكتساب الميول الجنسية وعلاقات أكثر نضجاً مع الأقران.
- تحقيق الاستقلال العاطفي عن الوالدين.

- 
- استكشاف الميول والقدرات واختيار العمل.
 - متطلبات ومراحل ومظاهر النمو.
 - تكوين مجموعة من القيم والمثل التي تؤهله للأدوار الاجتماعية.
 - التهيؤ للزواج والحياة الأسرية.

د- مرحلة النمو من 18 الى 35 سنة (الرشد المبكر)

- إتمام التعليم الرسمي واختيار المهنة.
- الاضطلاع بالحياة الأسرية ورعاية الأبناء والانسجام الأسري.
- نمو المسؤولية والشعور بحاجات الأسرة.
- تشكيل فلسفة (نظرة) للحياة.

هـ- مرحلة النمو من 35 إلى 60 سنة (متوسط العمر)

- تقبل وتحمل مسؤولية اجتماعية أكبر.
- بناء نموذج ومعيار للحياة.
- مساعدة أبنائه لكي يصبحوا راشدين أكثر فاعلية.
- التكيف للقيام بدور الأب المسن.
- تقبل التغيرات الفسيولوجية التي تحدث في خريف العمر.

6- مرحلة النمو ما بعد الستين (الشيخوخة)

- التكيف مع ازدياد القصور الجسمي.
- التكيف مع نقص الدخل.
- التقارب مع المسنين.
- تقبل حياة الخروج من العمل (التقاعد)

(عادل عز الدين الاشلول، 2008، ص 61-62)

أن تحقيق مطالب النمو يساعد الشخص أي شخص في التكيف النفسي والاجتماعي وفي تحقيق الصحة النفسية وان عدم تحقيق هذه المطالب يؤدي الى التوتر وعدم التكيف الاجتماعي والنفسي والاحساس بالعجز والضعف وعدم القدرة.

إن الأخذ بيد الطفل لتحقيق مطالب النمو ينبغ أن يتم بشكل متزن وفي جو آمن مطمئن بعيد عن التعسف والقسوة والإجبار لأن العنف والقسوة لا يساعدان الشخص على النمو النفسي والاجتماعي السليم. (شفيق علاونه، 2001)

بعض الأمثلة لمطالب النمو وعلاقتها بشخصية الطفل:

- **تعلم الاستقلال والاعتماد على النفس والعناية بالذات:** إذا تعدّد الطفل الاعتماد على الآخرين، فسوف ينشأ ضعيفا ويشعر بالقلق إذا واجهته أي مشكلة، أما إذا تعلم الطفل في حياته الأولى الاعتماد على ذاته في إطعام نفسه بنفسه، وفي ارتداء ملابسه، والعناية بنظافته فسوف ينشأ سويا قادرا على حل المشكلات التي تعترض طريق حياته، هذا إذا تم تعويده على الاستقلالية بشكل معتدل، لأن القسوة في ذلك تجعل الفرد شديد الاعتماد على نفسه حتى في الأمور التي يحتاج فيها لمشورة الآخرين ومعاونتهم.

- **الاحتشام الجنسي:** إن الاعتدال في تعليم الطفل على الحياء الجنسي في سنوات حياته الأولى يساعد الطفل على النمو السليم والتكيف النفسي والاجتماعي، أما عدم تحقيق هذا المطلب على النمو السليم يجعل الفرد يشعر بالقلق ويلجأ للعميلة الجنسية وقت الملمات لإعادة الثقة في نفسه، ومن ناحية أخرى تؤدي القسوة في تعليم الطفل الاحتشام الجنسي، إلى الشعور بعدم الثقة وإلى العنة في بعض الأحيان، بمعنى آخر أن القسوة على الطفل من أجل تحقيق هذا المطلب تجعله يعاني من الاضطراب وسوء التكيف النفسي والاجتماعي.

تعلم القراءة والكتابة: إذا نجح الطفل في تعلم القراءة أو الكتابة والحساب من سن 7-11 سنة فشوف يشعر بالثقة بنفسه وبالراحة النفسية، أما إذا كان ضعيفا في دراسته فسوف يشعر بالنقص ويعاني من سوء التكيف.

إن مطالب النمو هامة ومفيدة للأسباب الآتية :

- تحقق للفرد التكيف النفسي والاجتماعي السليم والصحة النفسية.
- تساعد المربين على تنظيم العملية التربوية وتوجيهها بما يتناسب ومرحلة نمو الأفراد ومطالب النمو التي يجب تحقيقها.
- تساعد المربين في توفير الجو المناسب للأطفال من أجل تحقيق مطالب النمو وبالتالي تحقيق الصحة النفسية.
- توجه الأخصائيين النفسيين في عمليات الإرشاد والعلاج النفسي.

(شفيق علاونه، 2001)

المحاضرة السادسة

نظرية النمو النفسي الجنسي لـ "سيغموند فرويد"

وجدت هنالك تيارات نفسية عديدة ومختلفة حاولت أن تفسر عملية نمو الفرد، لذلك نجد أن كل تيار نظري ركز في تفسيره على جانب معين، وفي ظله أيضا شخص اضطرابات النمو، وتجدر الإشارة إلى أن كل نظرية انفردت بتفسير خاص بها، وبنيت دلائلها على جملة من المفاهيم خاصة بها دون غيرها من النظريات الأخرى.

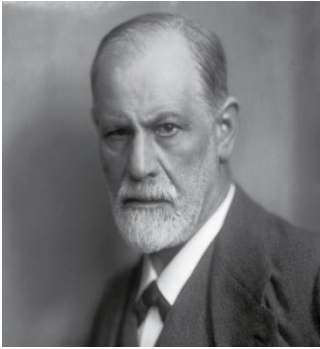
ومن أجل فهم موقف كل نظرية من عملية النمو، يجب فهم الخلفية التاريخية والنظرية التي تبلورت فيها النظرية، إلى جانب التعرف على شخصية صاحبها واتجاهه الفكري.

ومن أكبر نظريات النمو، بل من أشهر النظريات في علم النفس بصفة عامة نجد:

- نظرية النمو النفسي الجنسي لـ "سيغموند فرويد".

- نظرية النمو النفسي الاجتماعي لـ "أريك أركسون".

- نظرية النمو المعرفي لـ "جان بياجيه".



نظرية النمو النفسي الجنسي لـ "سيغموند فرويد"

نجد "سيغموند فرويد" (Sigmund Freud) في التغلغل في أعماق الكينونة النفسية وعرف كيف يحللها ويضع أسسها لها وان يشخص اضطرابات الشخصية بناء على حقائق معينة.

ويعتبر "سيغموند فرويد" من أشهر الأطباء في الجراحة الدماغية، ولد في عام 1856 بشيكوسلوفاكيا. ومن بين الأحداث العالمية الكبرى التي غيرت حقائق كثيرة في حياة الإنسانية، نجد ظهور كتاب "تشارلز داروين": "أصل الانواع" (1859)، إلى جانب استقلال علم النفس كعلم قائم بحد ذاته له مناهجه ومواضيعه الخاصة به، الذي اقترن بتأسيس أول مخبر للبحث بعدما أكد "فيشر" (Fischer) أن عقل الإنسان يمكن إخضاعه للتجربة والدراسة العلمية.

وفي خضم هذه الأحداث، كان مولد "سيغموند فرويد" ونشأته ليبدأ في وضع وبناء نظريته عندما كان في عمره 35 سنة. وعمل على تطويرها مدة 25 سنة، فقد قيل أنه مات وهو يطور النظرية.

مبادئ مدرسة التحليل النفسي:

تقوم هذه المدرسة على مجموعة من المبادئ التي أعطتها طابعا خاصا في مجال البحوث النفسية وأيضاً ميزتها عن باقي المدارس النفسية الأخرى نذكر منها ما يلي:

- ترى هذه المدرسة أن السلوك الإنساني محكوم بغرائز فطرية شعورية.
- تؤكد على دور الصراعات اللاشعورية في تحديد السلوك والشخصية، والدوافع اللاشعورية هي السبب في الأمراض النفسية كالهستيريا مثلاً.
- تعتمد هذه المدرسة على طريقة التحليل النفسي من أجل علاج المشكلات والاضطرابات النفسية، هذا التحليل الذي يركز على تحليل خبرات الفرد للتعرف على الدوافع والصراعات اللاشعورية المكبوتة، والتي يرى فرويد أنها المسبب الأساسي للاضطراب النفسي.
- يرى فرويد أن شخصية الإنسان وحياته النفسية شبيهة بجبل من الجليد الجزء المرئي منه فوق سطح الماء وهو "الشعور" ، ويعني إدراك العالم الخارجي، والجزء المتبقي من حياة الفرد تحت سطح الماء، وهو الجزء الأكبر وهو " اللاشعور" والذي يختفي وراء الوعي ويعتبر مستودعا للمشاعر والأفكار المكبوتة ويحتوي تصورات عقلية للغرائز، خاصة الغرائز الجنسية.

- افترض فرويد وجود "ما قبل الشعور" وهو منطقة ضبابية لم تكبت بعد، ويمكن استحضارها إلى الشعور بشيء من اليسر.

- تؤكد أفكار فرويد أن الفرد يطرد الخبرة المبررة التي مرّ بها في الماضي والتي تسبب له الألم من الشعور إلى اللاشعور الذي يحول دون تذكرها. وقد أطلق فرويد على هذه الحيلة الدفاعية اسم "الكبت" (غالب محمد، 2014، ص 34)

ويمكن تلخيص المراحل التاريخية التي مرت بها النظرية فيما يلي:

أولاً: المرحلة الفمية

- المرحلة الفمية المصية

وتشمل العام الأول من حياة الطفل. وتتركز حياة الطفل في هذه السن حول فمه، ويأخذ لذته من المص، حيث يعمد إلى وضع أصبعه أو جزءاً من يديه في فمه ومصه، ويتمثل الإشباع النموذجي في هذه المرحلة في مص ثدي الأم، وحينما يغيب الثدي عنه يضع أصبعه في فمه كبديل للثدي، ويؤكد فرويد على أن هذه المرحلة هي مرحلة الإدماج القائمة على الأخذ.

- المرحلة الفمية العضية

وتشمل العام الثاني. ويتركز النشاط الغريزي حول الفم أيضاً، ولكن اللذة يحصل عليها هذه المرة من خلال العض وليس المص، وذلك بسبب التوتر الناتج عن عملية التسنين، فيحاول الطفل أن يعض كل ما يصل إليه، وهنا يشير فرويد إلى أول عملية إحباط تحدث للفرد في حياته، وذلك حينما يعمد الطفل إلى عض ثدي الأم، وما يترتب على ذلك من سحب الأم للثدي من فمه، أو عقابه، مما يوقعه في الصراع لأول مرة، فهو يقف حائراً بين ميله إلى إشباع رغبته في العض وبين خوفه من عقاب الأم وغضبها.

ثانياً: المرحلة الشرجية

وتشمل العام الثالث، حيث تنتقل منطقة الإشباع الشهوي من الفم إلى الشرج، ويأخذ الطفل لذته من تهيج الغشاء الداخلي لفتحة الشرج عند عملية الإخراج، ويمكن أن يعبر الطفل عن موقفة أو اتجاهه إزاء الآخرين بالاحتفاظ بالبراز أو تفرغته في الوقت أو المكان غير

المناسبين، والطابع السائد للسلوك في هذه المرحلة هو العطاء، ويغلب على مشاعر الطفل المشاعر الثنائية أيضًا، كما في المرحلة السابقة.

ثالثًا: المرحلة القضيبية

ويعبر الطفل المرحتين: الفمية والشرجية فإنه يصل إلى المرحلة القضيبية. وتبلغ الجنسية الطفلية الأولى - خلال المرحلة القضيبية - ذروتها حيث يستمد الطفل اللذة من العبث بالأعضاء التناسلية، ثم تقترب هذه المرحلة أيضًا من اضمحلالها. وتبدأ هذه المرحلة حوالي الثالثة من العمر، حيث تتفجر لدى الطفل رغبة في استطلاع أمور الجنس، مع قدر من الاستثارة الجنسية، تصاحبها أخيلة متصلة بالنشاط الجنسي، تصل إلى حد النشاط الشهوي الذاتي أو الاستثارة اليدوية والاستمنااء واللعب الجنسي كالاستعراض أو لعبة "الدكتور". ومن هنا يمكن القول بأن المشاعر الجنسية والعدوانية المرتبطة بوظائف أعضاء التناسل تحتل مركز الاهتمام في هذه المرحلة من نمو الشخصية. فمشاعر اللذة المرتبطة بالاستمنااء وحبياة التخيل لدى الطفل والتي تصاحب نشاطه الشهوي الذاتي تهيب السبيل لظهور عقدة أوديب. وقد أعتبر فرويد كشف عقدة أوديب واحد من أكبر اكتشافاته. وتستمد عقدة أوديب اسمها من ملك طيبة الذي قتل أباه وتزوج بأمه.

وعقدة أوديب في إيجاز هي شحنة جنسية تستهدف الوالد من الجنس المقابل وشحنة عدوانية تستهدف الوالد من نفس الجنس. فالصبي يرغب في امتلاك أمه واستبعاد أبيه على حين ترغب الفتاة في امتلاك أبيها وإبعاد أمها. وتعبّر هذه المشاعر عن نفسها في تخيلات الطفل أثناء الاستمنااء وفي التذبذب بين الأفعال الدالة على الحب والأفعال المعربة عن التمرد والثورة إزاء والديه.

ويحدث عكس ذلك لدى الطفلة، حيث تدعى في هذه الحالة عقدة الكترا ابنة "أجامنون" في الأسطورة التي كتبها "سوفوكليس"، حيث تدفع الكترا أخاها ليقول أمها جزاء قتلها لأبيها، وتظل الكترا مخلصه وفيه لأبيها بعد موته، بالرغم من أن أمها جعلت منها رقيقة جارية.

ولكن هذا التعلق بالوالد من الجنس الآخر يتناوله الكبت بسبب الصراع الذي ينشأ من اصطدام هذا التعلق بمشاعر الحب والكره والخوف التي يشعر بها الطفل تجاه الوالد من الجنس نفسه، ويتوقع أن يوقع به الأذى والعقاب، ويتركز هذا العقاب على أعضائه التناسلية فهي مصدر مشاعره الشهوية، فيخشى أن يستأصل والده الغيور هذه الأعضاء المسيئة، ويتحول هذا الخوف ليصبح قلق الخشاء. ويؤدي قلق الخشاء إلى كبت الرغبة الجنسية في الأم والعدوان على الأب، ويتوحد الابن بأبيه ويتمص شخصيته أي يتوحد بها، ويحقق بذلك إشباعاً بديلاً لمشاعره نحو الأم، وتتحول هذه المشاعر الشهوية نحوها إلى مشاعر رقيقة حانية. وبذلك يحقق الحل السليم لعقدة أوديب، حيث ينمو الطفل الذكر لبحث عن زوجة تشبه أمه.

ويرى فرويد أن الأنا الأعلى هو وريث عقدة أوديب لدى الذكر، إذ يعد الأنا الأعلى حائلاً دون رغبة الفرد في المحارم والعدوان. وعلى الرغم من حل عقدة أوديب فإنها تظل قوة فعالة في الشخصية طوال الحياة، إذ يؤثر في اتجاه الفرد نحو الجنس المقابل والعلاقات الأسرية والزوجية ونحو الرؤساء والسلطة.

وتتحول طاقة الليبيدو في الجنسية الطفلية عبر مراحل الفم والشرح والقضيب، ولكن لا يتبادر إلى الذهن أن هذه المراحل الثلاث تتمايز عن بعضها تمايزاً تاماً، فقد تظهر واحدة منها إلى جانب الأخرى أو تتداخل معها.

وحتى ينتقل الطفل انتقالاً سلساً من مرحلة نفسية جنسية إلى التي تليها فيجب أن يتسم إشباعه لحاجاته في تلك المرحلة بالاعتدال، فلا زيادة ولا نقصان، لأن كلا منهما يؤدي إلى تثبيت الطفل على هذه المرحلة. وعندما تواجه الفرد مشكلة في الكبر فإنه ينكص إلى المرحلة التي حدث فيها تثبيت. ويشير تثبيت الليبيدو إلى تثبيت الليبيدو بمرحلة من مراحل التطور النفسي الجنسي، مما يقلل فيما بعد مقدار الليبيدو المهيأ للتوافق مع الواقع. وإذا

اعترض طريق الإشباع الحالي عقبات عجز الفرد عن تذليلها ساعد ذلك على حدوث نكوص إلى إحدى النقط التي تثبت الليبيدو عليها. ومن هنا فإن التثبيت أساس لتعرض الفرد - في مستقبل أيامه - للإصابة بالمرض النفسي أو العقلي.

رابعاً: مرحلة الكمون

يحدث تقدم كبير في النمو العقلي والانفعالي والاجتماعي في هذه المرحلة التي تمتد من سن السادسة حتى حدوث البلوغ الجنسي في الثانية عشر للبنات والثالثة عشر للبنين، ويكون الطفل حريصاً في هذه المرحلة على طاعة الكبار والامتثال لأوامرهم ونواهيهم وراغباً في الحصول على رضائهم وتقديرهم. ولذا فهذه المرحلة مرحلة هدوء من الناحية الانفعالية.

خامساً: المرحلة التناسلية

وفي هذا المستوى تأخذ الميول الجنسية الشكل النهائي لها. وهو الشكل الذي سيستمر في النضج. ويحصل الفرد السوي على لذته من الاتصال الجنسي الطبيعي مع فرد راشد من أفراد الجنس الآخر. حيث تتكامل في هذا السلوك الميول الفمية والشرجية، وتشارك في بلورة الجنسية السوية الراشدة.

وعليه فإن الفرد السوي هو من يحصل على إشباع مناسب في كل مرحلة نمائية، أما إذا تعطلت مسيرة النمو كما يحدث في بعض الحالات فإنه قد يترتب عليه حدوث ما أسماه فرويد "عملية التثبيت" ويكون الفرد أميل إلى النكوص إلى المرحلة التي حدث فيها التثبيت، والنكوص إلى مرحلة معينة يعنى إتيان أساليب سلوكية تتناسب مع هذه المرحلة.

(أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2010، ص 37-40)

لقد طور "فرويد" على نحو واسع نظريته، كما كان له الفضل في تطوير علم النفس وإحداث خطوة كبيرة في تاريخ تفسير وفهم سلوك ونمو شخصية الفرد.

وتناول فرويد خلال نظريته في موقعيته الأولى مستويات الشعور:

أ- الشعور: هو كل ما يعيه الفرد في لحظة معينة.



ب- ما قبل الشعور: هي الذكريات المخزونة والتي يمكن استدعاؤها.
ت- اللاشعور: وهو أعمق المستويات النفسية، ويتكون من الذكريات التي تؤثر في لسلوك، ولا يمكن استدعاؤها ولكن تظهر في الأحلام وزلات اللسان...
وتتناول أيضا خلال نظريته في موقعيته الثانية مكونات الشخصية وقسمها إلى:
أ- الهو: هو مصدر الطاقة والغرائز، والحاجات، وهو لا شعوري ولا منطقي ويوجهه مبدأ اللذة.

ب- الأنا: جزء منه شعوري والجزء الآخر لا شعوري، ويعتبر الجهاز الإداري للشخصية (مركز الصراع)

ت- الأنا الأعلى: ويمثل الضمير ويضم القيم الدينية والأخلاقية، ويؤثر على السلوك.
(Helen BEE, 1997, pp 32,33)

المحاضرة السابعة:

نظرية النمو النفسي الاجتماعي لـ "إريك إريكسون"



أيد "إريك إريكسون" Erick Erikson فرويد في بعض القضايا وخالفه الرأي في بعضها، كما أضاف إلى وتيرة النمو إضافة إلى الحياة النفسية، الجانب الاجتماعي.

إريك إريكسون Erik Erikson (1902-1994م) عالم أمريكي من أصل ألماني ركز في دراساته المتعلقة في علم النفس على السمات الاجتماعية لنمو الشخصية منذ مرحلة الرضاعة إلى مرحلة الشيخوخة. تأثر بمدرسة التحليل النفسي ولعبت آنا ابنة فرويد دوراً كبيراً في تحويل انتباه إريكسون نحو علم النفس. انصب جهد إريكسون على دراسة الطفولة والمجتمع من زاوية نفسية. لم يركز تماماً على الجانب البيولوجي أو المراحل الأولى لحياة الطفل كما فعل فرويد الذي أكد في دراساته على أن أهم مرحلة تحدد معالم الشخصية هي مرحلة وخبرات الطفولة والمراهقة المبكرة.

يرى إريكسون أن المؤثرات التي تحدد شخصية الفرد كثيرة وهي مُستمرة من بداية إلى نهاية حياة الإنسان، من مراحل الطفولة إلى الرشد والكهولة. يرى إريكسون أن الإنسان يمر بتسع مراحل في حياته وفي كل مرحلة من هذه المراحل يواجه صراعاً نفسياً اجتماعياً (Psychosocial Crisis) يؤثر في نموه ونفسيته.

(لطيفة حسين الكندري، 2011، ص 15)

1- مراحل النمو النفسي الاجتماعي عند اريكسون:

حيث يرى أن الانتقال من مرحلة إلى مرحلة نمائية موائية تصاحبها أزمة، التي تتدخل الأنا لحلها أو كما سماها اريكسون بفاعلية الأنا. حيث يشير تحقيق الذات إلى نجاح وتمكن الفرد من حل أزمة النمو بطريقة مقبولة.

وقد قسّم اريكسون نمو الشخصية الى ثمان مراحل من الطفولة إلى الشيخوخة، وكل مرحلة تمثل نقطة تحول، تتضمن أزمة نفسية اجتماعية يعبر عنها اتجاهان: أحدهما خاصية مرغوبة، والآخر يتضمن خطراً وهي:

أ- الثقة مقابل عدم الثقة:

أثناء السنوات الأولى من الحياة، يعتمد الرضع على الآخرين في الرعاية والعناية. إذ أن الآخرين هم الذين يقومون بإطعامهم وإلباسهم، وتعريضهم لمثيرات جديدة. هذه التفاعلات الاجتماعية تحدد اتجاهاتهم فيما بعد. وعندما تتم العناية بالأطفال بهدف المحبة وسد احتياجاتهم البدنية وتتم مواجهة الحاجات على نحو كاف، فإن الأطفال سينمون أحساساً أساسياً بالثقة. وإن لم يعتني بهم الوالدان كما ينبغي أو قوبلوا بمعاملة متنافرة ومتقلبة، فمن المحتمل أن يصبح الأطفال خائفين وغير واثقين أو مرتابين في أنفسهم وأيضاً في الآخرين.

ب- الاستقلالية مقابل الشك والعار:

ما بين السنة الأولى والثالثة من العمر يتعلم الأطفال المشي والكلام، ويبدأون في تنمية نسبة من الاستقلالية. ويصبح الأطفال قادرين على تعلم واكتشاف العالم من حولهم فينمون الاستقلالية، أما لو كان الوالدان متذبذبين في أساليبهم التأديبية، لو أسرفا في حماية الأطفال، أو أظهرت عدم الموافقة عند محاولة أطفالهم التصرف بحرية سيصبح هؤلاء الأطفال متقلبين شكاكين وخجولين من أنفسهم ومن الآخرين.

ج- المبادأة مقابل الشعور بالذنب:

أثناء السنة الرابعة والخامسة من العمر، يواجه الأطفال مجموعة متنوعة ومتزايدة من الخبرات والتجارب، تشمل علاقات بالأصدقاء والجيران. وعندما يشجع الوالدان الأنشطة

والأسئلة والاستفسارات، واللعب الابتكاري بصفة عامة، فإن الأطفال سيجدون أنه من الأسهل الاستمرار في التصرف بحرية والتفاعل مع الناس الآخرين، لو قيدت أنشطتهم واستطلاعاتهم وحبهم للبحث والتحقيق من قبل الوالدين، فإن الأطفال سينمون الشعور بالذنب والذي سيحملونه بين طياتهم طوال حياتهم في المستقبل.

د - المثابرة مقابل الشعور بالنقص:

يصبح الأطفال فيما بين السادسة والحادية عشرة من العمر، مقتدرين تماما على استهلال أنشطتهم الخاصة بهم. ويكونوا قادرين على تعلم كيفية تعبئة وتحريك طاقاتهم بطرق بنائه، والاستذكار، والقراءة، والتعلم عن أي شيء يثير انتباههم. لو شجعهم الوالدان، والمعلمون، سينمو إحساسا بالمثابرة والكد وحب الاستطلاع، أما لو عامل المعلمون والآباء الأطفال بنفاذ الصبر فسينمي هؤلاء الأطفال إحساسا بالنقص والدونية وانخفاض الدافع للإنجاز.

هـ - الهوية مقابل فوضى الدور:

المراهقة، هي الفترة ما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة، ويجب على المراهقين دمج وتوحيد تجاربهم وخبراتهم السابقة مع الضغوط والمتطلبات الجديدة التي يواجهونها كي يقرروا ويحددوا ما يريدونه من حياتهم، ما يعتقدونه وما يؤمنون به، ومن هم وإن لم يستطيعوا دمج خبراتهم المبكرة وتوحيدها مع بعضها، سيكونوا عاجزين عن تنمية الإحساس بالهوية.

و - الشعور بالألفة والمودة مقابل الشعور بالاغتراب والعزلة:

الزواج والوالدية هي جميعها جزء من الخبرة السوية لمرحلة الرشد المبكرة، لو اكتسب الراشدون الصغار الإحساس بالهوية، سيكونوا قادرين على تكوين علاقات حميمة ومشاركة أنفسهم وأيضاً ممتلكاتهم مع الآخرين. لو عجزوا عن الاتصال بودية ودفء بالآخرين أو لم يكتسبوا الإحساس الكامل بالهوية، ربما ينمو الإحساس بالعزلة ويشعرون بأنهم لا ينتمون إلى أي شيء في العالم سوى الانتماء لأنفسهم فقط.

ي- الشعور بالإنتاجية مقابل الاستغراق الذاتي:

مرحلة وسط العمر هي الفترة التي يجب على الناس أن يحلوا فيها صراعاتهم مع العالم ويعدون لأنفسهم ول مستقبل أسرهم ولمجتمعهم ولعملهم .ويقصد اركسون بالإنتاجية القدرة على النظر خارج ذات الفرد أو خارج نفسه المرء والتعاون مع الآخرين، الأفراد العاجزين عن عمل هذا يميلون إلى أن يصبحوا متمركزين حول ذاتهم أكثر من كونهم منتجين في تلك المرحلة.

ز- التكامل مقابل الشعور باليأس:

الأشخاص الذين نجحوا في حل الأزمات السابقة يشعرون بالإحساس بالسعادة في تحقيق إنجازاتهم، وبالمودة والاطمئنان مع أنفسهم ومع الآخرين ويعيشون في سلام مع أنفسهم والآخرين، أما من يشعرون بأن حياتهم كانت سلسلة من الفشل والإحباطات وخيبة الأمل فيشعرون باليأس والقنوط فقد مضت الحياة دون أن ينجزوا أهدافهم.

(أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2010، ص 62-64)

2- الشخصية السوية عند اركسون:

يتفق اريكسون مع نقاد فرويد الذين يرون أن فرويد كان يركز فقط على الحالات المرضية وكان تركيزه على نمو وعلاج السلوك العصابي. لذلك عمل اريكسون في تحديد خصائص الشخصية السليمة، فيرى أن هناك ثلاث خصائص للشخصية السليمة وهي:

- السيطرة الفعّالة والايجابية على البيئة.

- إظهار قدر من وحدة الشخصية.

- القدرة على إدراك الذات والعالم إدراكا صحيحا.

3- أوجه التشابه والاختلاف بين اريكسون وفرويد

أ- أوجه الاختلاف بين اريكسون وفرويد:

- عمل اريكسون تحولاً كبيراً من التركيز على الهوية إلى التركيز على الأنا أين أكد على أهمية الأنا بدلاً من الهوية كأساس للسلوك الإنساني.
- قدم اريكسون منظوراً جديداً لعلاقة الفرد بوالديه وأسرته بينما فرويد اهتم بتأثير الوالدين على شخصية الطفل.
- نظرية اريكسون تنظم حياة الفرد كاملة من مرحلة المهد إلى الشيخوخة، بينما اقتصر فرويد اهتمامه على آثار الخبرات من الطفولة المبكرة ولم يهتم بالنمو بعد مرحلة التناسل.
- يختلف اريكسون عن فرويد في نظرتهم للصراعات النفسية الجنسية.

ب- نواحي التشابه بين اريكسون وفرويد:

- كلاهما يعتبران مراحل تحديد الشخصية محددة تحديد مسبق ولا تتغير.
- التزم اريكسون بنموذج فرويد البنائي (الهوية، الأنا، الأنا الأعلى).
- اريكسون معترف بالأسس البيولوجية للاتجاهات الدافعية والشخصية.

4- إسهامات نظرية النمو النفسي الاجتماعي لـ اريكسون:

- يعد الإسهام الأساسي في نظرية اريكسون هو توسيع النظرة إلى نظرية التحليل النفسي. أيضاً من أهم إسهامات النظرية مفهوم أزمة الهوية الذي يعد الآن من أهم المفاهيم الشائعة في حياتنا اليومية.
- كما يعد اريكسون أول محلل نفسي يقوم بعلاج غير الأسوياء سواء كانوا عصابيين أو ذهانيين ووضع أساليب متقدمة في عملية العلاج باللعب.
- إن تأكيد اريكسون أن الناس تستمر في النمو والتغير بطرق خاصة وإن الشخصية لا تتكون فقط خلال السنوات الأولى فقط، أدى إلى ثورة في دراسة الشخصية.

أعطى اريكسون اهتماما كبيرا بكتابات حياة العديد من الشخصيات التاريخية مثل مارتن كنج لوثر، وهتلر، وجوركي وغاندي.

وقد هدف اريكسون من هذا العمل إلقاء الضوء على ما بداخل هؤلاء لأشخاص في ضوء تصوراتهم ومفاهيمه النظرية.

الفروق بين الجنسين في لعب الأطفال: لقد لاحظ اريكسون أن الأطفال يكشفون عن مشكلاتهم على نحو أفضل حين يلعبون باللعب أكثر مما يفعلون حين يستخدمون الألفاظ. ويرى اريكسون أن هذه الفروق بين الجنسين في اللعب ترجع إلى اختلاف طبيعة جسم الفتاة عن جسم الفتى.



المحاضرة الثامنة

نظرية النمو المعرفي لـ "جون بياجيه"

يعتبر من أهم علماء علم النفس والنمو والتطور المعرفي، وبشكل خاص هو أحد الأعمدة الأساسية التي أسهمت في تطور المعمار المعرفي في نظريته، التي طورها وهدف من خلالها إلى فهم نمو وتطور العمليات الذهنية للطفل..

يرى بياجيه أن النمو المعرفي له عاملين معرفيين هما:

- **البنية المعرفية:** وهي حالة التفكير التي تسود ذهن المتعلم في مرحلة من مراحل النمو المعرفي، ويفترض أن هذه البنية تنمو وتتطور مع العمر عن طريق التفاعل مع الخبرات والمواقف، ويصحب ذلك تغير في حالة البنية الذهنية المعرفية.

- **الوظائف الذهنية:** تتضمن العمليات التي يستخدمها الطفل في تفاعله مع متغيرات البيئة وعناصرها، ويعدّها "بياجيه" حالة عامة للنشاط الذهني، ويركز على الجانب الفطري في هذا العامل، لأنه يكاد يكون مستقرا نسبيا لكن يتطور ويتسع وتزداد كفايته ووظيفته. ويعتبر بياجيه أن الوظائف الذهنية هي امتدادات بيولوجية فطرية ضرورية للنمو والتطور المعرفي.

(محمد فرحان القضاء، محمد عوض الترتوري، 2006 ، ص 128)

يسلم بياجيه بأن الأطفال يرثون اتجاهين أساسيين: التنظيم (وهو الاتجاه إلى ترتيب وتنظيم العمليات في أنساق متماسكة). والتكيف (وهو الاتجاه إلى التوافق مع البيئة). وكما أن عملية الهضم البيولوجي تحوّل الطعام إلى شكل أو صورة يستطيع جسم الطفل أن يستخدمه، كذلك يرى بياجي أن العمليات العقلية تحول الخبرات إلى شكل يمكن الطفل من استخدامه في المواقف الجديدة. وكما ينبغي أن يحتفظ بالعمليات البيولوجية في حالة توازن فإنه ينبغي أيضا أن تحقق العمليات العقلية التوازن، وهذه العملية هي شكل من تنظيم الذات

يتيح للطفل أن يحقق الانسجام والاستقرار في تصوراته عن العالم وأن يحول اللاتوازن في خبرته لكي تصبح أمراً مفهوماً.

1- المفاهيم التي تركز عليها النظرية المعرفية لـ بياجيه:

ينظر بياجيه إلى النمو كعملية تفاعل مستمر بين الفرد ومحيطه الخارجي، وليس حاصل جمع الخبرات والمعارف التي يكتسبها الطفل عن الأشياء والظواهر الخارجية، أو مجموعة أفعال مقررة سلفاً ومثبتة في عضويته على شكل برنامج موروث. ولوصف آليات هذه العملية المعقدة يلجأ بياجيه إلى نقل بعض المفاهيم البيولوجية إلى ميدان علم النفس. وهذه المفاهيم هي:

التمثل (الاستيعاب) ASSIMILATION: ويعني به النشاط الذي يقوم به الفرد في الوسط الخارجي بمساعدة ما يملكه من بنيات وخطط والذي يفضي إلى إدماج بعض عناصر هذا الوسط في تلك البنيات والخطط.

المواءمة ACCOMODATION: ويقصد بها تلك التغيرات التي تطرأ على البنيات والخطط التي يملكها الفرد مما يجعله قادراً على التكيف مع المواقف الجديدة. وينظر بياجيه إلى هاتين العمليتين على أنهما متكاملتان. فكل واحدة منهما هي سبب في ظهور الأخرى ونتيجة لها في نفس الوقت. وعن طريقهما يستطيع الطفل أن يحقق التكيف المضطرب مع المحيط.

التكيف ADAPTATION: وهو إمكانية الكائن الحي على مقابلة الموضوعات والأشياء الخارجية بالسلوك المناسب. ويستمد الإنسان هذه الإمكانية من عمليتي التمثل والمواءمة. بل إن بياجيه يذهب إلى التكيف هو التوازن بينهما.

التنظيم ORGANISATION: وهو نوع من التناسق بين أفعال الفرد في عمليتي التمثل والمواءمة. وتساعد هذه العملية على بقاء البنيات العقلية في حالة الانتظام والانسجام على امتداد مراحل النمو وتعاقبها. ويرتبط التنظيم بالتكيف في علاقة وظيفية تكاملية مثلما يرتبط

التمثل بالموءامة. فإذا كان التكيف يشير إلى علاقة الفرد بمحيطه الخارجي وتوازنه معه، فإن التنظيم يعبر عن انتظام الأجهزة والبنىات الداخلية والتوازن القائم فيما بينها. التوازن **EQUILIBRATION**: وهو الهدف الأخير الذي تنزع إليه عناصر منظومة الفرد-البيئة. ويجد بياجيه أن هذه العناصر يتفاعل بعضها مع بعض على نحو منسجم ومتكامل. وأي تغير يلحق بأحدها يستدعي-بالضرورة-تغير العناصر الأخرى. ولذا فإن العلاقة بين الذات والموضوع عبر تطور هذه المنظومة هي التعبير الحقيقي عن عملية التوازن التي ينشدها النمو. (بدر الدين عامودي، 2001، ص 389-390)

2- مراحل النمو المعرفي عند بياجيه:

تكمن أهمية عرضنا لمراحل النمو العقلي المعرفي حسب بياجيه في طبيعة إستقلالية كل مرحلة عن المرحلة التي تليها نسبيا، من حيث بنياتها وخصائصها المعرفية الممهدة للمرحلة التي تليها. حيث تزداد العمليات المعرفية تعقيدا. وقد قسم بياجيه النمو العقلي المعرفي إلى أربع مراحل أساسية هي:

أ- **مرحلة الذكاء الحسي الحركي Stade sensori-moteur**: تبدأ هذه المرحلة من الميلاد حتى سن الثانية تقريبا. وفي بداية هذه المرحلة يستطيع الطفل التمييز بين أعضاء جسمه والعالم الخارجي المحيط به، ويتعلم الطفل في هذه المرحلة أن يتابع الأشياء بصريا وأن يمسك الأشياء بيديه، والمظاهر البسيطة للنمو الحركي والإدراك الحسي مثل الرؤية، السمع، الشم، التذوق. ومن حوالي الشهر الثامن يبدأ الطفل في تمييز العالم الخارجي كشيء له وجود منفصل عن ذاته، وفي حوالي الثانية عشر شهرا تقريبا يبدأ الطفل في اللعب وتظهر بوادر اللعب الرمزي فهو يلعب بأدواته كرموز فينظر إلى العصا على أنها سيف والدمية على أنها أخته والصندوق على أنه سيارة وهكذا (كامل محمد، 1996، ص 85). وقد قسمها بياجيه إلى ستة مراحل فرعية كالتالي:

1. المرحلة الإنعكاسية (التمرن على المخططات الحركية الفطرية): كآلية الإمتصاص ويصبح أكثر مهارة في البحث عن المنبهات التي تسمح له بتوظيف إستجاباته.
2. مرحلة الإرجاع (الإستجابة) الدائرية الأولية: وتمتد من سن الشهر إلى أربعة أشهر وتكون أفعال الطفل فيها منعكسة نمطيا، وهذا التكرار يحدث للطفل إشباعا داخليا وتظهر بها بوضوح عمليتي الملائمة والمماثلة، وتتركز أنشطتها على المنبهات الخارجية.
3. مرحلة الإرجاع الدائرية الثانوية: وتستمر هذه المرحلة حتى وصول الطفل سن سبعة أشهر كما يمكن أن تمتد إلى سن ثمانية أشهر، ويستجيب خلالها الطفل للمثيرات الخارجية، ويقل إهتمامه بجسمه وينسق فيها إستجابات متعددة في آن واحد.

(محمد شلبي، 2001، ص ص 30-31.)

4. مرحلة تآزر المخططات: وتمتد من الثمانية (8) أشهر إلى غاية إثني عشر (12) شهرا تقريبا، وفيها يبدأ الطفل بتكوين مفهوم دوام الأشياء رغم إختفائها عن ناظره، ويستفيد فيها من المخططات السابقة في مواقف جديدة كتقليد الأصوات وتحريك اليد للوداع.
5. مرحلة الإرجاع الدائرية الثالثة: وتمتد حتى سن الشهر الثامن عشر، ويبدأ فيها بتكوين إستجابات جديدة للموقف نفسه كنوع من الإكتشاف بالمحاولة والخطأ، وتتطور ظاهرة دوام الأشياء تطورا حاسما، حيث يبحث الطفل عن الشيء رغم إختفائه كليا عنه، ويتعلم خلالها وسائل الوصول إلى الأهداف.

6. مرحلة التجمعات العقلية: وتبدأ عند الشهر 18 وتمتد إلى غاية الشهر 24، ويتطور فيها التمثيل عند الطفل أو ما سماه بياجيه التقليد المؤجل أي تمثيل الأشياء غير الموجودة حاضرا وبذلك ينتقل من الأفعال الحركية الظاهرة إلى التفكير الرمزي غير الظاهر.

(شفيق فلاح، 1998، ص ص 155-156)

وبصفة عامة يعتبر النمو العقلي المعرفي للطفل خلال مرحلة الذكاء الحسي الحركي إنجازا هائلا وتطورا سريعا للجهاز العصبي، وخلالها يطور الطفل إستجاباته للمحيط بتغييره

وتطويره لبناء العقلية وإستراتيجياته للوصول إلى أهدافه والحصول عليها وهو تطور مهم جدا للمرحلة الموالية.

ب- مرحلة ما قبل العمليات أو المرحلة قبل الإجرائية **Préopératoire** : هذه المرحلة تبدأ من سن عامين حتى سن السابعة، في هذه المرحلة تنمو القدرات العقلية للطفل على تمثيل وتكوين الصور الذهنية عن الواقع الخارجي، ويتعلم الطفل في هذه المرحلة أن يستخدم اللغة، وتزداد درجة تفاعله الإجتماعي عن المرحلة الحسية الحركية. (كريماني بدير، 2007، ص 362).

وتتقسم هذه المرحلة حسب بياجيه إلى مرحلتين فرعيتين:

- مرحلة ما قبل المفاهيم: (سنتين-4 سنوات)

تظهر في هذه المرحلة اللغة كوظيفة رمزية وتزداد بها المحاكاة، حيث يبدأ الطفل في هذه المرحلة في معرفة الأشياء والأحجام والألوان والمستويات وإن كان الطفل في هذه المرحلة ما زال مشدودا بالأشياء والموضوعات المحسوسة في العالم الخارجي، وإن أهم ما يميز هذه المرحلة سمتان هامتان هما: التمرکز حول الذات، وطبيعتها المرتبطة بمرحلة ما قبل المفاهيم. هذا وتزداد في هذه المرحلة قدرة الطفل على التفاعل الرمزي مع البيئة ويزداد اللعب الإيهامي (التخيلي) (كامل محمد، 1996، ص 85)

- مرحلة التفكير البديهي (الحدس): (4 سنوات- 7 أو 8 سنوات)

وتتميز هذه المرحلة بالحلول التخمينية، بحيث لا يستطيع توضيح أسباب إجاباته وتتميز أيضا بعدم إكتساب مفهوم الثبات أو الإحتفاظ بالشيء (مقداره، وزنه، حجمه...) واللاعكسية، فكل عملية منطقية لا تعكس. (محمد شلبي، 2001، ص ص 18-41). وهو في هذه المرحلة يطلق أحكامه إنطلاقا من بعد واحد، ويغفل أبعادا أخرى للموضوع المدرك. وتتميز هذه المرحلة بطغيان التمثل على تفكيره، وقلة عملية التلاؤم وذلك لتمرکز حوله ذاته وإعتباره لنفسه على أنها الحكم الوحيد لتصرفاته. وتتميز أيضا بمحدودية الإستقراء

فلا يستطيع تطبيق ما ينطبق على الجزء على الكل، وهو ما يسميه بياجيه التفكير التحويلي، ويبدأ الطفل بإستخدام المفاهيم العددية كأقل وأكثر ومفاهيم العالقات مثل أصغر وأكبر والتصنيف على أساس بعد واحد: كاللون أو الحجم أو الشكل.

(شفيق فلاح، 1998، ص ص 152-158).

ج- مرحلة العمليات المحسوسة (الإجرائية أو العيانية)

تمتد هذه المرحلة من 7 سنوات إلى 12 سنة، وهي تشمل الأطفال في مرحلتي الطفولة الوسطى والمتأخرة، هذا ويشير إصطلاح العمليات المحسوسة (العيانية) إلى العمليات العقلية التي يستطيع الطفل أن يقوم بها نحو الأشياء المحسوسة التي تقع تحت ملاحظته. ويستطيع الطفل في هذه المرحلة أن يفكر تفكيراً منطقياً بسيطاً لا يرقى إلى التفكير المنطقي المجرد. وأهم خصائص العمليات العقلية خلال مرحلة العمليات المحسوسة (العيانية) هي ضمور وإضمحلال التمرکز حول الذات وإستخدام المنطق البسيط. ومن خلال إستخدام الطفل لعنصري التكيف وهما المماثلة والملائمة للتكيف مع حقائق العالم الخارجي، تنمو لديه إمكانية الإحتفاظ، فمثال قدرة الإحتفاظ بالوزن وتعتمد جزئياً على أحكام الحجم، وجزئياً على المعرفة بأوزان المواد المختلفة وهكذا. (كامل محمد، 1996، ص ص 86-82).

د- مرحلة العمليات المجردة (الصورية أو الشكلية)

تمتد هذه المرحلة من سن 12 سنة فما فوق وهي تشمل مرحلة المراهقة المبكرة. وتعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل الراقية في نظرية بياجيه للنمو المعرفي. وهي مرحلة إعلان إستقلال عقل الإنسان وتفتحه، ففي هذه المرحلة يستطيع المراهق التعامل مع عمليات التفكير المجرد ويستطيع أن يكتشف المبادئ أو القواعد العامة من خلال عدد من الوقائع والأحداث النوعية وأن العمليات المجردة (الشكلية) تمر بمرحلتين:

أولهما: إستخدام المراهق للتفكير (الإستدلال) الإستنباطي في حل المشكلات.

وثانيهما: أن المراهق تزداد قدرته على استخدام التفكير (الإستدلال) الإستقرائي، أي يستطيع إستنتاج العام من الخاص والعلّة من المعلول. (كامل محمد، 1996، ص88)

ومما هو جدير بالذكر أن الأطفال يختلفون في كفاءتهم العقلية تبعا للسن ومرحلة النمو العقلي التي وصلوا إليها، إن وصول الطفل إلى المراحل المتقدمة من النمو المعرفي يعتمد إعتقادا كبيرا على الفرص التربوية المتاحة، والخلفية الثقافية المثيرات التي يتعرض لها وأخيرا العوامل الوراثية.

3- التطبيقات التربوية لنظرية بياجيه:

يمكننا أن نستخلص مدى إمكانية تطبيق أفكار بياجيه المتضمنة في نظريته، من خلال محاولتنا البحث عن الاجابة عن ثلاثة أسئلة هامة، نرى أنها تفتح الباب لفهم مدى إمكانية التطبيق الذي ننشده في مدارسنا ومؤسساتنا التعليمية، وهي:

• **السؤال الأول:** هل يمكن أن نتبنى أفكار بياجيه عن خصائص كل مرحلة، لنستند إليها عندما نقوم بإعداد المناهج الدراسية للتلاميذ والطلاب في المستويات التعليمية المختلفة؟

وللإجابة على هذا السؤال، نعرض لما قاله بياجيه عن أننا يجب ألا نكلف الطفل بمهام ومشكلات عقلية تتطلب مجهودا ذهنيا اكبر مما تتيحه له مرحلة التفكير التي يمر بها، كما يجب ألا نعطل عليه ممارسة المهام الفكرية التي تتيحها له مرحلته، بعدم تقديم المشكلات التي تتطلب مثل هذه المهام. ومن كل ذلك نخلص إلى أن الرأي الأمثل هو أن نستهدى بمراحل بياجيه عند إعداد المناهج لكننا يجب ألا نغفل - أثناء التدريس - مستويات التفكير التي بلغها كل طفل، ومراعاة ذلك أثناء تنظيمنا لعملية التعلم.

• **السؤال الثاني:** هل للمدرسة دور في دفع النمو المعرفي للتلاميذ، أم أن الأمر مرتبط بالوراثة والنضج فحسب؟

يخطئ من يتصور أن نظرية بياجيه قد أغفلت جانب البيئة تماما، وان كانت تعطه ما أولته للوراثة والنضج من أهمية، حيث يقول بياجيه صراحة بأن فرص تفاعل الطفل مع مثيراته البيئية تؤثر في تطوره المعرفي. وعلى ذلك فإن إتاحة الفرصة أمام الأطفال للتفاعل مع الأشياء والمواقف وتجريبها ومع الأشخاص ومناقشتهم، يمكن أن يساعد كثيرا على فهم الكبار للتطور المعرفي للأطفال من جهة، وييسر أمر اكتساب الأطفال لخصائص المرحلة من جهة أخرى. ولا تخفى أهمية البرامج التربوية في بعض المؤسسات، والتي تقدم للأطفال القادمين من فئات فقيرة تربويا، في تنمية استعداداتهم للتعلم وقدراتهم المعرفية بل وتحسين سلوكياتهم الاجتماعية.

• **السؤال الثالث:** هل نلتزم تماما بمستوى النضج المعرفي الذي بلغه أطفالنا عند

تنظيمنا للمثيرات البيئية التي تقدمها المدارس أو على المستوى الأسري؟

هناك رأيان فيما يتعلق بتنظيم الخبرات التعليمية استنادا لأراء بياجيه، الرأي الأول ينادي بالمطابقة الكلية بين تلك الخبرات وبين أنماط التفكير التي تتيحها المرحلة الفكرية التي يمر بها الطفل مثلما ذكرها بياجيه تماما. أما الرأي الثاني فإنه يطالب بالمطابقة الجزئية، ووجهة نظر أصحاب هذا الرأي هي أننا يجب أن نستهدف السعي نحو تطوير النمو المعرفي للطفل لا انتظار حدوثه، وهذا ما يستلزم أن نضع الطفل في مواقف تستفز قدراته وتتحدى استعداداته لنعجل بحدوث هذا التطوير.

إنها مسؤولية المعلم، في أن يضع الطفل في مواقف تحدث خلا في توازنه المعرفي لتثير لديه حيرة وقلقا، لا يجد منها مهربا إلا البحث عن مصادر معرفية جديدة تنير الطريق لديه لتفسيرات ناجحة لتلك المشكلات التي خلقت لديه حيرة، فيتخلص من حالة القلق وينتقل إلى حالة الرضا الناجم عن دمج الخبرات الجيدة في بنيته العقلية. ويجب على المعلم إلا ينتظر حدوث ذلك الخلل في التوازن المعرفي تلقائيا، بل عليه أن يسعى لإيجاده من خلال ما يقدمه من نشاطات تخرج قليلا عن تلك التي أشار بياجيه أنها مناسبة لمرحلة الطفل العمرية والفكرية. (يحيى الأحمدى، 2002، ص 58-63)



قائمة المراجع:

- 1- أحمد أوزي، 1998، سيكولوجية الطفل نظريات النمو النفسي ومراحله، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء.
- 2- أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، سامي محسن الختاتنة، 2010، علم نفس النمو، دار ديونو للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 3- أحمد محمد عبد الخالق، 2000، معجم ألفاظ الشخصية، مطبوعات جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريب والنشر.
- 4- يحيى الأحمدى، 2002، علم نفس الفروق الفردية، القاهرة، دار الأحمدى.
- 5- آمال صادق، فؤاد أبو حطب، 2011، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة.
- 6- إيمان يونس إبراهيم، 2016، علم النفس النمو، قسم رياض الأطفال، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العراق.
- 7- بدر الدين عامودي، 2001، علم النفس في القرن العشرين، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- 8- حامد عبد السلام زهران، 1986، علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، دار المعارف.
- 9- حامد عبد السلام زهران، 1990، علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة.
- 10- حسام أحمد محمد أبو سيف، 2011، علم نفس النمو، إيتراك للنشر والتوزيع.
- 11- حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، 2010، علم نفس النمو، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

- 12- حنان عبد الحميد العناني، عبد الجابر يتم، محمد حسن الشناوي، 2001،
سيكولوجية النمو، عمان، الأردن، دار الصفاء.
- 13- ربحي مصطفى عليان، 2008، أساليب البحث العلمي، دار الصفاء، ط2،
عمان.
- 14- رجاء محمود أبو علام، 2001، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية،
ط3، دار النشر للجامعات، القاهرة.
- 15- سامي محمد ملحم، 2002، مناهج البحث في التربية وعلم النفس. عمان، دار
المسيرة للنشر والتوزيع، ط2.
- 16- سعيد زيان، 2007، مدخل إلى علم نفس النمو، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 17- شفيق علاونه، 2001، سيكولوجية النمو الإنساني، عمان، الأردن، دار الفرقان.
- 18- شفيق فلاح حسن، 1998، أساسيات علم النفس التطوري، بيروت، دار الجبل.
- 19- طاوس وازي، 2014، محاضرات في علم النفس النمو، قسم العلوم الاجتماعية،
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.
- 20- عادل عز الدين الاشلول، 2008، علم نفس النمو، مكتبة الانجلو مصرية.
- 21- عباس محمود عوض، 1999، المدخل إلى علم نفس النمو: الطفولة، المراهقة،
الشيخوخة، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع.
- 22- عبد المنعم عبد العزيز المليجي، 2019، النمو النفسي، وكالة الصحافة العربية،
الجيزة، مصر.
- 23- عماد عبد الرحيم الزغول، علي فالح الهنداوي، 2014، مدخل إلى علم النفس،
دار الكتاب الجامعي، الأردن، ط 8.
- 24- غالب محمد، 2014، أساسيات علم النفس، دار المسيرة للنشر والتوزيع
والطباعة، عمان.

- 25- فانتن صلاح عبد الصادق، 2014، التجريب في علم النفس، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2، الأردن.
- 26- فان دالين، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون، 1994، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5.
- 27- فوزية بنت عبد الرحم، محمد عبد الله أبو جعفر، 2017، علم نفس النمو، قسم علم التربية وعلم النفس، الكلية الجامعية بمحافظة الليث، جامعة أم القرى.
- 28- كامل محمد عويضة، 1996، علم نفس النمو، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- 29- كريمان بدير، 2007، الأسس النفسية لنمو الطفل، الطبعة الأولى، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- 30- لطيفة حسين الكندري، 2011، ثقافة الطفل، Latifa.net, artic 10
- 31- محمد عبد الله العابد أبو جعفر، 2014، علم النفس النمو، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية، وزارة التربية والتعليم، ليبيا.
- 32- محمد فرحان القضاة، محمد عوض الترتوري، 2006، أساسيات علم النفس التربوي، النظرية والتطبيق، دار الحامد للنشر والتوزيع.
- 33- محمد أحمد شلبي، 2001، مقدمة في علم النفس المعرفي، القاهرة، دار غريب.
- 34- محمود عبد الحليم منسي، 2003، مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية والفنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 35- موريس أنجرس، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، 2004، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصة للنشر، الجزائر.
- 36- نبيل علي محمود، سيد الطواب، محمد خالد الطحان، 1987، أسس النمو الإنساني، دار القلم، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

37- نصر الدين جابر، 2015، **دروس في علم النفس الفيزيولوجي**، منشورات مخبر الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

38- Alexandra Schleyer-Lindenmann, 2006, **Developmental Tasks of Adolescents of Native or Foreign Origin in France and Germany**, *Journal of Cross-Cultural Psychology*, SAGE Publications.

39- Euillet, S., Zaouche-Gaudron, C., & Ricaud-Droisy, H. (2007, 28 Août-1er Septembre). **La construction de l'identité professionnelle chez les assistants familiaux**. In actes (format électronique) du Congrès international de l'Actualité de la Recherche en Education et en Formation, Strasbourg (France).

40- Helen BEE, 1997, **Psychologie du développement, les âges de la vie**, de Boeck universitaire.

41- H  l  ne Ricaud-Droisy (2009): **Psychologie du d  veloppement (Enfance et adolescence)**, Dunot, Paris, France

42- Mich  le Guidetti , Catherine Tourrette, 2007, **Handicaps et d  veloppement psychologique de l'enfant**, ARMAND COLIN, 2  me   dition.

43- Pascal MALLET , Claire MELJAC , Anne AUDIER , Fr  d  rique CUISINIER, 2003, **Psychologie du d  veloppement Enfance et adolescence**, Belin.